مركز مكة العالمي
للهدى القرآني

تفسير وهدايات سورتي السجدة والإنسان

إعداد
أ.د/ عبدالله بن سالم بن يسلم بافرج

تفسير وهدايات

سورتي السجدة والإنسان

إعداد

أ.د. عبدالله بن سالم بن يسلم بافرج

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]، أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[١] وبعد؛

فمن المواضيع المهمة التي ينبغي للمسلم أن يعتني بها؛ إيضاح وتفسير كلام الله تعالى، لاسيما السور التي كان النبي صلى اله عليه وسلم يقرأ بها و يكرر قراءتها في مناسبات، كسورتي الأعلى والغاشية اللتان تتكرران في عدة صلوات كصلاة الجمعة والعيدين والاستسقاء، وسورتي ق والقمر اللتان يقرأ بهما في العيدين، وسورتي الجمعة والمنافقون اللتان يقرأ بهما في صلاة الجمعة، وسورتي السجدة والإنسان اللتان يقرأ بهما في فجر يوم الجمعة ومن هذا المنطلق أحببت الكتابة في تفسير سورتي السجدة والإنسان وإبراز معانيهما وذكر ما استخلصه أهل العلم من لطائف وفوائد من هاتين السورتين الكريمتين في أسلوب سهل ميسر بعيدا عن التطويل الممل والاختصار المخل؛ فحاولتُ جاهداً حاثاً السير للكتابة في هذا الموضوع فكان عنوانه: (تفسير وهدايات سورتي السجد والإنسان).

---

(١) هذا جزء من خطبة الحاجة التي رواها ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ، وأخرجها مسلم بن الحجاج القشيري، *المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون رقم الطبعة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، (٥٩٣/١)، رقم: (٨٦٨)، ومحمد بن يزيد بن ماجة القزويني، *السنن*، (بيروت، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح، (٦١٠/١)، برقم: (١٨٩٣)، وأحمد بن محمد بن حنبل، *المسند*، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، (٣٠٢/١)، ورواها كذلك ابن مسعود ﷺ وأخرجها عنه سليمان بن الأشعث السجستاني، *السنن*، (بيروت، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، كتاب: النكاح، باب: في خطبة النكاح، (٥٩١/٢)، رقم: (٢١١٨)، وأحمد في المسند (٣٩٢/١، ٣٩٣)، وينظر: المسند المحقق (١٨٨/٧)، رقم: (٤١١٥).

مشكلة البحث:

سيجيب البحث بإذن الله على عدد من التساؤلات أهمها:

١-لماذا خصت سورتا السجدة والإنسان للدراسة والبحث؟

٢-ما هي المواضيع التي تتحدث عنها السورتان؟

٣-ما هي أهم ما استخلصه أهل العلم من لطائف وفوائد وهدايات من هاتين السورتين؟

٤-ما النواحي البلاغية التي ذكرت في السورتين؟

أسباب اختيار الموضوع وأهدافه:

١-أن القرآن الكريم كلام الله عزّ وجلّ، وخطابه تعالى لعباده، فلا بدّ من فهمه؛ ومن ثم الاهتداء والعمل به.

٢-تلبية حاجة الناس إلى تفسير القرآن، وبيان ما فيه من معانٍ، ودعوتهم من خلال القرآن الكريم، وتذكيرهم به.

٣-إيصال المعنى الصحيح لتفسير هاتين السورتين بعبارة واضحة وسهلة.

٤-تثبيت أصول العقيدة الواردة في هاتين السورتين الكريمتين، قال ابن القيم رحمه الله: (وإنما كان صلى الله عليه وسلم يقرأ هاتين السورتين لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد، وخلق آدم، ودخول الجنة والنار، وذلك مما كان ويكون في يوم الجمعة، فكان يقرأ في فجرها ما كان ويكون في ذلك اليوم تذكيرا للأمة بحوادث هذا اليوم).(١)

حدود البحث:

سوف يقتصر البحث على تفسير سورتي السجدة والإنسان واستخراج الهدايات منهما.

خطة البحث:

شمل البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة وفهارس؛ وفق التفصيل التالي:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وأسباب اختيار الموضوع وأهدافه، وحدوده، وخطته، ومنهجه.

الفصل الأول: تفسير سورة السجدة.

المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة.

المطلب الأول: أسماء سورة السجدة.

المطلب الثاني: ما ورد في فضل سورة السجدة.

المطلب الثالث: هل سورة السجدة مكية أم مدنية؟

---

(١) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، (بيروت، الكويت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ)، (٢٠٣/١).

المطلب الرابع: خصائص السورة.
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.
المطلب السادس: موضوعات السورة.
المبحث الثاني: الآيات من الآية (١) إلى الآية (٣).
المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.
المطلب الثاني: تفسير الآيات.
المطلب الثالث: من هدايات الآيات الكريمة.
المبحث الثالث: الآيات من الآية (٤) إلى الآية (٦).
المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.
المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها.
المطلب الثالث: تفسير الآيات.
المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة.
المبحث الرابع: الآيات من الآية (٧) إلى الآية (١١).
المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.
المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها.
المطلب الثالث: تفسير الآيات.
المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة.
المبحث الخامس: الآيات من الآية (١٢) إلى الآية (١٤).
المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.
المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها.
المطلب الثالث: تفسير الآيات.
المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة.
المبحث السادس: الآيات من الآية (١٥) إلى الآية (٢٢).
المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.
المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها.
المطلب الثالث: تفسير الآيات.
المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة.
المبحث السابع: الآيات من الآية (٢٣) إلى الآية (٢٥).

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.
المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها.
المطلب الثالث: تفسير الآيات.
المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة.
المبحث الثامن: الآيات من الآية (٢٦) إلى آخر السورة الكريمة.
المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.
المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها.
المطلب الثالث: تفسير الآيات.
المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة.
المبحث التاسع: البلاغة.
الفصل الثاني: تفسير سورة الإنسان.
المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة.
المطلب الأول: أسماء سورة الإنسان.
المطلب الثاني: ما ورد في فضل سورة الإنسان.
المطلب الثالث: هل سورة الإنسان مكيّة أم مدنيّة؟
المطلب الرابع: خصائص السورة.
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.
المطلب السادس: موضوعات السورة:
المبحث الثاني: الآيات من الآية (١) إلى الآية (٦).
المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.
المطلب الثاني: تفسير الآيات.
المطلب الثالث: من هدايات الآيات الكريمة.
المبحث الثالث: الآيات من الآية (٧) إلى الآية (١١).
المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.
المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها.
المطلب الثالث: تفسير الآيات.
المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة.
المبحث الرابع: الآيات من الآية (١٢) إلى الآية (٢٢).

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها.

المطلب الثالث: تفسير الآيات.

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة.

المبحث الخامس: الآيات من الآية (٢٣) إلى آخر السورة الكريمة.

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة.

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها.

المطلب الثالث: تفسير الآيات.

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة.

المبحث السادس: البلاغة.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث سلوك منهجين لجمع المادة العلمية هما:

١-المنهج الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل للآيات الكريمة موضوع البحث.

٢-المنهج الاستنباطي: وهو المتبع في استنباط الهدايات واللطائف القرآنية من الآيات موضوع البحث.

واتبعت الاجراءات التالية في تفسير الآيات الكريمة:

١) التقديمُ بين يدي كلِّ سورة ببيان أسماء السورة، وما ورد في فضلها، وهل السورة مكية أم مدنية؟ وخصائصها، ومناسبتها لما قبلها، وبيان بعض ما حوت السورة الكريمة من أغراض جليلة ومقاصد سامية.

٢) ذكر الآيات المراد تفسيرها وَفْق رواية حفص عن عاصم.

٣) بيان معاني الكلمات الغريبة.

٤) تفسير الآيات وبيان معانيها وذكر القراءات، وأسباب النزول، ومسائل الإعراب، ونحوها بعبارة واضحة مختصرة.

٥) الاقتصار على ما صح من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

٦) اتباع منهج سلف الأمة الصالح رحمهم الله في التفسير، وفي بيان معاني آيات الصفاتِ خصوصًا باتباع ما دلَّ عليه القرآن والسنة دون تأويل أو تحريف أو تعطيل أو تشبيه.

٧) ذكر الأقوال التفسيرية في الآية الكريمة مع بيان الراجح عند الاختلاف، مع مراعاة ضوابط التفسير وقواعد الترجيح.

٨) ذكر بعض هدايات الآيات نهاية كل مقطع؛ بما يُعِين على تدبُّرها والانتفاع بها.

٩) ذكر المناسبات بين مقاطع آيات السورة الكريمة.

١٠) ذكر ما تضمنته السورتين الكريمتين من ضروب وأنواع الفصاحة والبيان والبديع؛ بما يُظهر جمال القرآن الكريم واعجازه.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون موافقاً للصواب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

تفسير سورة السجدة

المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة:

المطلب الأول: أسماء سورة السجدة:

قال السيوطي رحمه الله: (قد يكون للسورة اسم واحد، وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر من ذلك....؛ وذلك يدل على شرفها فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى).(١)

سميت هذه السورة بعدة أسماء هي:

أ- أسماء ثبت في السنة تسمية السورة بها:

١-سورة السجدة: وهذا أشهر أسمائها وأخصرها، وهو المكتوب في المصاحف، وبهذا الاسم ترجم لها الترمذي في جامعه وذلك بإضافة كلمة سورة إلى كلمة السجدة.(٢)

٢-﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: عَنْ جَابِرِ بن عبدالله رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [السجدة: ١-٢]، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١]).(٣)

٣-سورة تنزيل السجدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ، فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [السجدة: ١-٢] السجدة، و ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١])(٤)، وهو ما عنونها به البخاري رحمه الله في صحيحه.(٥)

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، (١/١٨٧).

(٢) محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، ، *الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل*، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، ، أَبْوَابُ: تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ، (٥/٣٤٦).

(٣) رواه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ: فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي فَضْلِ سُورَةِ الْمُلْكِ، (٥/١٦٥)، رقم: (٢٨٩٢)، والإمام أحمد في المسند، (٢٣/٢٦)، رقم: (١٤٦٥٩)، وصححه محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، *صحيح الجامع الصغير وزياداته*، (بيروت، المكتب الإسلامي، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، (٢/٨٧٩)، رقم: (٤٨٧٣).

(٤) رواه محمد بن إسماعيل البخاري، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه*، (دمشق، دار ابن كثير، دار اليمامة، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، كتاب: الجمعة، بَاب: مَا يُقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الجمعة، (١/ ٣٠٣)، رقم: (٨٥١).

ب- أسماء جاء تسمية السورة بها في كتب التفسير:

١-سورة المضاجع: لوقوع لفظ المضاجع في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].(١)

٢-المنجية: عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: (اقْرَءُوا الْمُنَجِّيَةَ، وَهِيَ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾).(٢)

٣-سجدة لقمان: تمييزًا لها عن سورة ﴿حمٓ﴾ السجدة، التي هي سورة فصّلت، ولأنها واقعة بعد سورة لقمان.(٣)

المطلب الثاني: ما ورد في فضل سورة السجدة:

١-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ، فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [السجدة: ١-٢] السجدة، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]).(٤)

---

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة تنزيل السجدة، (١٧٩٤/٤)، وينظر: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، *التحرير والتنوير*، (تونس، الدار التونسية للنشر، بدون رقم الطبعة، ١٩٨٤م)، (٢٠٣/٢١).

(١) هبة الله بن سلامة البغدادي، *الناسخ والمنسوخ*، (بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ)، ص: (١٤٣)، وعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، (بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ)، (٤٣٧/٣)، والإتقان للسيوطي (١٩٤/١).

(٢) رواه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، *مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)*، (المملكة العربية السعودية، دار المغني، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م)، موقوفا على خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ رحمه الله، (١٠٨١/٢)، رقم: (٣٦١١)، وينظر: محمد بن أحمد القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، (القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، (٨٤/١٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٣/٢١).

(٣) عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، *نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص: (١٠٦)، وعلي بن محمد السخاوي، *هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب*، (بيروت، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دار الفكر، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، ص: (١٦٤)، وأحمد بن إبراهيم بن الزبير، *ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل*، (بيروت، دار الكتب العلمية، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، (٣٢٠/٢). والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٨/٢٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، بَاب: مَا يُقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الجمعة، (١/ ٣٠٣)، رقم: (٨٥١).

٢-عَنْ جَابِرٍ بن عبدالله رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [السجدة: ١-٢]، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]).(١)

وهناك آثار ضعيفة اذكرها للتحذير منها:

١-عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ سورة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١-٢] أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر". (٢)

٢-قَالَ عليه الصلاة والسلام: " من قَرَأَ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١-٢] فِي بَيته لم يدْخل الشَّيْطَان بَيته ثَلَاثَة أَيَّام".(٣)

وهناك آثار موقوفة ومرسلة وأسانيدها ضعيفة. (٤)

المطلب الثالث: هل سورة السجدة مكية أم مدنية؟

أكثر المفسرين على أن هذه السورة مكية، قال القرطبي رحمه الله: (غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨] تمام ثلاث آيات، قاله الكلبي ومقاتل، وقال غيرهما: إلا خمس آيات، من قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ [السجدة: ١٦]إلى قوله: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠]).(٥)

---

(١) رواه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ: فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي فَضْلِ سُورَةِ الْمُلْكِ، (١٦٥/٥)، رقم: (٢٨٩٢)، والإمام أحمد في المسند، (٢٦/٢٣)، رقم: (١٤٦٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٨٧٩/٢)، رقم: (٤٨٧٣).

(٢) رواه أحمد بن إبراهيم الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، (جدة، دار التفسير، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، (٢٦٠/٢١)، وهو حديث ضعيف؛ قال ابن حجر رحمه الله: (أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي، وله طريق أخرى عند الثعلبي من رواية أبي عصمة عن زيد العمي عن أبي بصرة عن ابن عباس عن أبي، وعند ابن مردويه من وجه آخر عن نافع عن ابن عمر، وفي إسناده داود بن معاذ وهو ساقط)، أحمد بن علي العسقلاني، *الكافي الشافِ في تخريج أحاديث الكشاف*، (القاهرة، بيروت، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، (٥١٧/٣).

(٣) قال الزيلعي: (غَرِيب جدا)، عبد الله بن يوسف الزيلعي، *تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف*، (الرياض، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ)، (٨٩/٣).

(٤) ينظر: الاتقان للسيوطي (١٢٩/٤)، وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، (بيروت، دار الفكر، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، (٥٣٥/٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٤/١٤).

والراجح والله أعلم أن السورة كلها مكية، وهو ما رجحه أبو حيان وابن كثير والآلوسي وابن عاشور رحمهم الله.(١)

قال ابن عاشور رحمه الله: (والذي نعول عليه أن السورة كلها مكية، وأن ما خالف ذلك إن هو إلا تأويل أو إلحاق خاص بعام).(٢)

المطلب الرابع: خصائص السورة:

هي السورة الثانية والثلاثون بحسب ترتيب المصحف الشريف، وآياتها تسع وعشرون آية في العد البصري، وثلاثون آية عند الباقين.(٣)

وتحمل السورة الكريمة خصائص السور المكية؛ فمن خصائصها أنها افتتحت بحروف التهجي، مع قصر الفواصل، وقوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، بما يصحّ الآذان، ويشتدّ قرعه على المسامع، وينبّه القلوب، ويحرّك الأفئدة، ومن خصائصها أن فيها الدعوة إلى التوحيد، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، ، ومن خصائصها أن فيها سجدة، ومن خصائصها أن بها الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير، ومن خصائصها أنه ذكر فيها الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وذكر قصة موسى عليه السلام، ومن خصائصها مجادلة المشركين؛ بالبراهين العقلية، والآيات الكونية؛ لإقامة الحجة عليهم.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها:

(لما كانت سورة لقمان محتوية من التنبيه والتحريك على ما ذكر فيها، ومعلمة بانفراد الله سبحانه بخلق الكل ومُلْكِهم، اتبعها تعالى بما يدل على صحة القرآن الكريم، وأنه من عند الله تعالى، وأن ما انطوى عليه من الدلائل والبراهين يرفع كل ريب، ويزيل كل شك).(٤)

---

(١) محمد بن يوسف الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، (بيروت، دار الفكر، بدون رقم الطبعة، ١٤٢٠هـ)، (٤٢٨/٨)، وإسماعيل بن عمر القرشي، *تفسير القرآن العظيم*، (الرياض، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، (٣٥٨/٦)، ومحمود بن عبد الله الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ)، (١١٣/١١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٤/٢١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٤/٢١).

(٣) ينظر: عثمان بن سعيد الداني، *البيان في عدّ آي القرآن*، الكويت، مركز المخطوطات والتراث، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ص: (٢٠٧)، وإبراهيم بن عمر الجعبري، *حسن المدد في معرفة فن العدد*، (مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، بدون رقم الطبعة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص: (١٠٧).

(٤) ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، (١٥/ ٢٢٦).

قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله: (لما ذكر تعالى فيما قبلها دلائل التوحيد من بدء الخلق، وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد والحشر، وهو الأصل الثاني، وختم به السورة، ذكر في بدء هذه السورة الأصل الثالث، وهو تبيين الرسالة).(١)

وقال السيوطي رحمه الله: (وجه اتصالها بما قبلها: أنها شرحت مفاتح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة لقمان).(٢)

فقوله: ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة: ٥] شرح لقوله: ﴿عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾[السجدة: ٢٧] شرح لقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧] تفصيل لقوله: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ٥] إيضاح لقوله: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾ [لقمان: ٣٤]، وقوله: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ١٠] إلخ شرح لقوله: ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤])(٣).

وكل ما ذكر من المناسبات السابقة صحيح المعنى غير متكلف فيه.

المطلب السادس: موضوعات السورة:

حوت السورة الكريمة عدة موضوعات جليلة سامية منها:

أولا: الإعلام بأن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى، وتوبيخ المشركين على ادعائهم أنه مفترى.

ثانيا: الاستدلال على إبطال إلهية أصنام المشركين بإثبات تفرد الله تعالى بخلق السموات والأرض وتدبير أمورهما.

ثالثا: إثبات البعث بذكر كيفية بدء خلق الإنسان ونسله، وذكر إحياء الأرض الموات.

رابعا: ذكر المؤمنين المصدقين بآيات الله تعالى ووعدهم بالجزاء العظيم الذي لا يعرف قدره إلا الله تعالى ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

خامسا: إثبات رسالة موسى عليه السلام الذي هدى الله تعالى به أمة عظيمة.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٤٢٨/٨)، وينظر: روح المعاني للآلوسي (١١٣/١١).

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *تناسُق الدرر في تَناسُب السوَر*، (القاهرة، دار الفضيلة، القاهرة، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م)، ص: (١٢٣).

(٣) أحمد بن مصطفى المراغي، *تفسير المراغي*، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م)، (٢١/ ١٠٢).

سادسا: التهديد والوعيد للمكذبين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والأمر لهم بالنظر والتفكر بما حل بمن كذب بالرسل عليهم السلام.

سابعا: الوعد بالنصر للمؤمنين والأمر بانتظاره.

ثامنا: أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المكذبين تحقيرا لهم.(١)

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٤/٢١).

المبحث الثاني: الآيات من الآية (١) إلى الآية (٣):

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾ [السجدة: ١-٣].

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: الريب: أن تتوهم بالشيء أمرا ما، فينكشف عما تتوهمه(١)؛ والريب: يكون شك مع خوف، وقلق واضطراب، وتردد، وتهمة، ويمكن أن يكون شكا يجمع هذه المعاني(٢) ومعناه في الآية: لا شك فيه.(٣)

﴿ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾: الافْتِرَاء: اختلاق الكذب.(٤)

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

ابتدأت السورة الكريمة بالحروف المقطعة ﴿الٓمٓ﴾، ولا شك أن هذه الحروف لم ينزلها الله سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى؛ فتعين أن لها معنى في نفس الأمر، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧]، واختلف المفسرون رحمهم الله في معناها، ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وإنما اختلفوا، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فالوقف حتى يتبين(٥)، وأوصل ابن عاشور رحمه الله عدد الأقوال في معناها إلى واحد وعشرين قولا بعد حذف متداخله وتوحيد متشاكله.(٦)

---

(١) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، *مفردات ألفاظ القرآن*، (دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ)، ص: (٣٦٨).

(٢) ينظر: أحمد بن فارس القزويني، *مقاييس اللغة*، (القاهرة، دار الفكر، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، (٤٦٣/٢)، ومحمد حسن حسن جبل، *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*، (مصر، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م) (٧٤٢/٢)

(٣) عبد الله بن مسلم الدينوري، *غريب القرآن*، (بيروت، دار الكتب العلمية، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، ص: (٣٩)، وأحمد بن يوسف السمين الحلبي، *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*، (بدون مكان النشر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، (١٢٨/٢).

(٤) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص: (٣١).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦٠/١).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٧/٢١).

ومن هذه الأقوال:

١- هي سر الله في القرآن، ولله في كل كتاب من كتبه سر؛ فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها، ونقرأ كما جاءت، وهذا قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم، وقال به الشعبي والثوري والربيع بن خثيم رحمهم الله(١)، وقدمه ابن كثير رحمه الله في تفسيره(٢)، وهو أرجح الأقوال، والله أعلم.

٢-اسم من أسماء السورة، وقال بهذا القول عبدالرحمن بن زيد ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم رحمهم الله، واستدل عليه بما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ، فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [السجدة: ١-٢] السجدة، و ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]).(٣)

٣-هي اسم من أسماء الله تعالى، قال الشعبي: فواتح السور من أسماء الله تعالى، وكذلك قال سالم بن عبد الله، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير(٤)، وقال شعبة عن السدي قال: (بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿الٓمٓ﴾ اسم من أسماء الله الأعظم)(٥).

٤-أنها حروف مقتضبة من أسماء وصفات لله تعالى المفتتحة بحروف مماثلة لهذه الحروف المقطعة، روى هذا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه، وقاله محمد القرظي؛ فـ ﴿الٓمٓ﴾ مثلا الألف إشارة إلى أحد أو أول أو أزلي، واللام إلى لطيف، والميم إلى ملك أو مجيد، ونحو ذلك، وضعف هذا القول ابن عاشور رحمه الله، وقال: (يحتاج في بيانها إلى توقيف).(٦)

واختلف أهل العلم رحمهم الله في الحكمة من إيراد هذه الحروف في أوائل السور، مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها إلى عدة أقوال؛ منها:

الأول: إنما ذكرت لنعرف بها أوائل السور، قال ابن كثير رحمه الله: (وهذا ضعيف؛ لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه، وفيما ذكرت فيه، بالبسملة تلاوة وكتابة).(٧)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٥٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، بَاب: مَا يُقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الجمعة، (١/ ٣٠٣)، رقم: (٨٥١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٥٧).

(٥) عبد الرحمن بن محمد الرازي، *تفسير القرآن العظيم*، (المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ)، (١/٣٢).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (١/٢٠٧).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٦٠).

الثاني: ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين -إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن -حتى إذا استمعوا له تلي عليهم المؤلف منه، وضعفه ابن كثير رحمه الله، وقال: (لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها، بل غالبها ليس كذلك، ولو كان كذلك -أيضا- لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك، ثم إن هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدنيتان ليستا خطابا للمشركين، فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه).(١)

الثالث: ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيان لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه تركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها؛ ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته؛ فمثلا قال الله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ١-٢]، وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الشورى: ١-٣] وغير ذلك من الآيات الواقعة في تسع وعشرين سورة، ورجح هذا القول وصححه ابن كثير رحمه الله؛ مستدلا بالاستقراء للمصحف الشريف(٢)، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يخبر تعالى بأنه نزل الكتاب لا ريب فيه؛ فلا يوجد فيه أي نوع من أنواع الريب بحال من الأحوال، فهو منزل من عند الله تعالى رب العالمين؛ وفي هذا رد على المشركين الذين زعموا أنه من قول البشر أو أساطير الأولين أو قول الكهان، وهو كذلك لا ينبغي أن يرتاب فيه أحد؛ لأن هؤلاء يعلمون يقينا أنه من عند الله؛ إذ هو كلام لا يستطيع أحد أن يقول مثله؛ وهو على هذا المعنى خبر يراد به النهي.

قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾، قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ اضراب بمعنى بل يقولون، أو بمعنى الاستفهام؛ أيقولون؟ وهو استفهام توبيخ، وقيل: بمعنى الواو، وأفاد قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾ الاستمرار على قولهم وتجدده، (وقولهم: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ كلام جاهل لم يمعن النظر، أو جاحد مستيقن أنه من عند الله تعالى؛ فقال ذلك حسدا، أو حكما من الله تعالى عليه بالضلالة).(٣)

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٦٠).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٦٠).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٨/٤٢٩).

وقوله تعالى: ﴿بَلۡۜ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾، رد من الله تعالى على زعم المشركين بأنه مفترى بما يلي:

١-بأنه لا شك فيه؛ في قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾

٢-أنه من رب العالمين؛ فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، في قوله: ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

٣-وصفه بأنه ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: أي الصدق فيما اشتمل عليه، وجيء بالتعريف ليفيد تحقق الوصف فيه.

٤-الاقتصار على الإنذار دون البشارة؛ في قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ﴾ بيان للمقصود من إنزال الكتاب، ولم يرسل الله تعالى للعرب رسولا من قبله؛ فلذا قال: ﴿قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ أي لأجل أن يهتدوا بإنذارك إياهم، أو راجيا لاهتدائهم.

المطلب الثالث: من هدايات الآيات الكريمة(١):

١-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ أن القرآن الكريم مؤلف من الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع ذلك عجزوا أن يأتوا بمثله.

٢-إثبات علو الله؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ والنزول لا يكون إلا من أعلى.

٣-إثبات أن القرآن الكريم مكتوب؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فهو مكتوب في لوح محفوظ، وفي الصحف التي بيد الملائكة، وفي الصحف التي بأيدينا.

٣-إثبات ربوبية الله سبحانه وتعالى لجميع الخلق؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٤-تقرير النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزيل من الله تعالى ووحيه أوحاه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

٥-أن القرآن حق غير مفترى، وإبطال ما كان المشركون يقولون في القرآن؛ بأنه شعر، وسجع كهان، وأساطير الأولين؛ لقوله تعالى: ﴿بَلۡۜ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾.

٦-عناية الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم، وتعظيمه وتكريمه وتشريفه؛ حيث أضاف إليه الربوبية الخاصة من خلال كاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿بَلۡۜ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

---

(١) ينظر: محمد بن صالح العثيمين، *تفسير القرآن الكريم (سورة السجدة)*، المملكة العربية السعودية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ)، ص: (١٢)، وجابر بن موسى الجزائري، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، (٤/٢٢٣).

٧-بيان الحكمة من إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو الإنذار؛ لقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ﴾؛ لأن اللام للتعليل.

٨-بيان منة الله على هؤلاء الذين أرسل إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لقوله تعالى: ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

٩-إثبات رحمة الله تعالى بالخلق؛ حيث أرسل إليهم الرسل من أجل هدايتهم.

المبحث الثالث: الآيات من الآية (٤) إلى الآية (٦):

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾[السجدة: ٤-٦].

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿ٱلْعَرْشِ﴾: مخلوق عظيم لله تعالى وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، والعرش في اللغة سرير الملك؛ يدلك على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله عز وجل عرشا فقال عز من قائل: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].(١)

﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: يصعَدُ إليه.(٢)

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى الرسالة بين ما على الرسول عليه الصلاة والسلام من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الدليل بذكر مبدأ العالم(٣)، مخبرا تعالى عن كمال قدرته بأنه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة، مع قدرته تعالى على الخلق بقوله: كن، ولكنه تعالى رفيق حكيم.(٤)

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

جيء باسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ به لاستحضار الوحدانية له تعالى وإبطال الشرك، وجملة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، وجملة ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾، مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ومعنى ﴿خَلَقَ﴾ أبدع وأوجد بعد أن لم تكن.

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، *كتاب العين*، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، بيروت، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، (٢٤٩/١)، ومحمد بن جرير الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، (مصر، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، (٢٧١/٢٠)، ومحمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، (بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ)، (٦/ ٣١٣)، ومحمد بن أحمد الذهبي، *العرش*، (المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، (١/ ٢٧٥)، تفسير العثيمين: السجدة ص: (٢٨).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص: (٣٤٥).

(٣) ينظر: محمد بن عمر الرازي، *التفسير الكبير*، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ)، (١٣٦/٢٥)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٤٣٠/٨).

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م)، ص: (٦٥٣).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ قال ابن كثير رحمه الله: (يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر)، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى).(١)

و(الإسْتِواءُ معناه: العُلُوُّ والإسْتِقْرار، وهو معلومُ المعنى، لكنَّ الكيفيَّةَ مجهولةٌ غَيْر مَعْقولة، يعني لا يُدْرِكُها العَقْلُ، ولا يستدلُّ عليها، والسَّمْعُ لم يَدُلَّ عليها؛ فوجب الوقوفُ).(٢)

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ جاءت في القرآن الكريمِ في سَبْعَةِ مواضِعَ(٣)، ما فيها موضِعٌ واحدٌ اختَلَفَ فيه التَّعْبيرُ عن هذا؛ إلا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ومعنى الآية عند أهل السُّنَّة والجماعَةِ (علا على العَرْش واسْتَقَرَّ عليه).(٤)

و﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ (هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى).(٥)

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ ما لكم من ولي يتولاكم في أموركم فينفعكم، و (الولي من يتولى أمر الإنسان؛ يتولى أمره بجلب الخير له ودفع الضرر عنه، ثم إن قرنت بالنصير صارت خاصة بجلب الخير، والنصير بدفع الشر؛ فالمراد: ﴿مِن وَلِيّٖ﴾؛ أي: من متول لأمره بجلب الخير له، ودفع الشر عنه)(٦)، ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم إن توجه عليكم العقاب، والشفيع الوسيط في قضاء الحوائج

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٢٦).

(٢) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٢٦).

(٣) وهذه المواضع هي: [الأعراف:٥٤]، [يونس:٣]، [الرعد:٢]، [طه:٥]، [الفرقان:٥٩]، [السجدة:٤]، [الحديد:٤].

(٤) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٢٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٤٣).

(٦) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٣٠).

من دفع ضر أو جلب نفع، فالله تعالى هو سبحانه المالك لأزمة الأمور، الخالق لكل شيء، القادر على كل شيء، فلا ولي لخلقه سواه، ولا شفيع إلا من بعد إذنه.

والمشركون زعموا أن الأصنام آلهة شركاء لله في الإلهية، وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، وقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ففي الآية الكريمة رد على هذا الزعم، وأكد هذا بحرف الجر ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن وَلِيّٖ﴾؛ للدلالة على عدم تخصيص هذا العموم بحال من الأحوال، فلا ولي ولا شفيع لكم غير الله تعالى، فلا ولاية للأصنام، ولا شفاعة لها.(١)

وختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالاستفهام الإنكاري؛ حيث أنكر الله تعالى عليهم عدم التذكر؛ وهو التفكر والنظر بالعقل، والإنكار متوجه إلى عدم السماع وعدم التذكر(٢)، أو إلى عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع.(٣)

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ القدري والأمر الشرعي، المتفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير مِنَ ﴿ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ فَيُسْعِدُ بها ويُشْقِي، ويُغْنِي ويُفْقِرُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُكرِمُ ويُهِينُ، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ويُنزل الأرزاق.(٤)

والتعريف في ﴿ٱلۡأَمۡرَ﴾ للاستغراق، وهو مفيد لاستغراق الأمور كلها، لا يخرج شيء منها.

﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ أي الأمر ينزل من عنده ويعرج إليه ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، وهو يعرج إليه ويصعد إليه في لحظة، فالله تعالى ينزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة، وسمك السماء خمسمائة سنة، قال مجاهد، وقتادة، والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين.(٥)

وللعلماء في التوفيق بين قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤] مذهبان:

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/٢١١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/٢١٢).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٢١/١٦١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٥٩).

المذهب الأول: التوقف، وهذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في أحد قوليه، وقال به سعيد بن المسيب رحمه الله(١)؛ فعن ابن أبي مليكة رحمه الله قال: سأل رجل ابن عباس رضي الله عنه عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]؛ فقال ابن عباس: فما ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]؟ قال الرجل: إنما سألتك لتحدثني!؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: (هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما).(٢)

قال السيوطي رحمه الله: أخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وزاد، (ما أدري ما هما، وأكره أن أقول فيهما ما لا أعلم)، قال ابن أبي مليكة: (فضربت البعير حتى دخلت على سعيد بن المسيب، فسُئل عن ذلك فلم يدر ما يقول! فقلت له: ألا أخبرك بما حضرت من ابن عباس؟ فأخبرته؛ فقال ابن المسيب للسائل: هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيهما وهو أعلم مني).(٣)

المذهب الثاني: بيان المراد من الآيتين كما يلي:

أن المراد بقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] في بيان أن جبرائيل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويصعد إلى السماء في يوم كان مقداره ألف سنة، ذلك أنه من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، فهبوط خمسمائة، وصعود خمسمائة عام؛ فذلك ألف عام، قاله ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد رحمه الله.(٤)

وأما قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فالراجح والله أعلم أنه يراد به يوم القيامة، الذي يفرغ فيه من القضاء بين الخلق، فمقداره خمسين ألف سنة، قاله ابن عباس رضي الله عنه، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وابن زيد، والضحاك، والقرظي

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٥٤/٢٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٨/١٤).

(٢) القاسم بن سلاّم البغدادي، *فضائل القرآن*، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م)، ص: (٣٧٦)، وينظر: الإتقان للسيوطي (٩٣/٣)، ومحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، (الرياض، بيروت، دار عطاءات العلم، دار ابن حزم، الطبعة الخامسة، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م)، (٦/ ٥٥٥).

(٣) الإتقان للسيوطي (٩٣/٣)، وينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٦/ ٥٥٥)

(٤) جامع البيان للطبري (٢٥١/٢٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٣٦/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢١/٨)، وينظر: أحمد بن محمد بن حنبل، *الرد على الجهمية والزنادقة*، (بدون مكان النشر، دار الثبات، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، ص: (٦٩)، وأضواء البيان للشنقيطي (٥٥٥/٦).

رحمهم الله(١)؛ ويشهد له الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ؛ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ" الحديث.(٢)

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي الله تعالى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للقدرة التامة والحكمة العامة ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ وهو كل ما غاب عن الخلق ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهو كل ما شاهده الخلق فيدبر سبحانه ذلك على وفق الحكمة.(٣)

وختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لبيان كماله سبحانه؛ فهو ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه، ودانت له العباد والرقاب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين، فهو عزيز في رحمته، رحيم في عزته، وهذا هو الكمال: العزة مع الرحمة، والرحمة مع العزة، فهو رحيم بلا ذل.(٤)

ومن عزته تعالى أنه خلق الخلق بمحض قدرته بدون معين، ومن رحمته خلقه للخلق على أحوال فيها لطف بهم، فهو رحيم بهم فيما خلقهم؛ إذ جعل أمور حياتهم ملائمة لهم.(٥)

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة(٦):

١-في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ بيان عظمة قدرة الله تعالى؛ لأن خلق هذه السموات والأرض العظيمة يدل على عظمة الخالق.

٢-إثبات علو الله تعالى؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ والعرش أعلى المخلوقات.(٧)

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٥٢/٢٣)، وعلي بن محمد الشهير بالماوردي، *النكت والعيون*، (بيروت، دار الكتب العلمية، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، (٩٠/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٣٦/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢١/٨)، وأضواء البيان للشنقيطي (٦/ ٥٥٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، بَاب: إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ، (٦٨٠/٢)، رقم: (٩٨٧).

(٣) روح المعاني للآلوسي (١٦٥/٢١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٠/٦).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١٥/٢١).

(٦) ينظر: تفسير العثيمين: السجدة ص: (٣١)، (٣٧)، وأيسر التفاسير للجزائري (٢٢٣/٤)، (٢٢٥/٤).

(٧) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٣٢).

٣-إثبات استواء الله على عرشه، وهو علوه واستقراره عليه، بدون تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.(١)

٤-أنه ليس للخلق ولي ولا شفيع من دون الله؛ لقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾.

٥-بيان جلال الله وعظمته في تدبيره أمر الخلائق؛ لقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

٦-إثبات عموم علم الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

٧-إثبات هذين الإسمين من أسمائه تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وما تضمناه من الصفة وهي العزة والرحمة، وكمال عزته ورحمته باجتماعهما: أنه مع كونه عزيزا قاهرا غالبا فهو أيضا رحيم، ورحمته مقرونة بعز ليست رحمة ذل، وعزته مقرونة برحمة، ليست عزة جبروت لا رحمة فيها.(٢)

---

(١) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٣٢).

(٢) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٤١).

المبحث الرابع: الآيات من الآية (٧) إلى الآية (١١):

﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة: ٧-١١].

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿نَسۡلَهُۥ﴾: النسل: الانفصالُ عن الشيءِ، وسمي الولد نسلا؛ لأنه ينسل من والدته.(١)

﴿سُلَٰلَةٖ﴾: السلالة: سَلُّ الشيء من الشيء: نزعه، كسلّ السّيف من الغمد، وسَلُّ الولد من الأب، ومنه قيل للولد: سَلِيلٌ.(٢)

﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾: الوفاة: أصل التوفي كلمة تدل على إكمال وإتمام(٣)، وتوفية الشيء: بذله وافيًا، واستيفاؤه: تناوله وافيًا، وسمي الموت توفيًا لأنه استيفاء مدة الحياة.(٤)

﴿ضَلَلۡنَا﴾: أصل الضلال الغيبوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا غاب(٥)، وهو كنايةٌ عن الموت واستحالة البدن.(٦)

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما بين تعالى الدليل الدال على الوحدانية من الآفاق بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾، ذكر الدليل الدال عليها من الأنفس بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾.(٧)

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

(الإحسان: جعل الشيء حسنا، أي محمودا غير معيب، وذلك بأن يكون وافيا بالمقصود منه؛ فإنك إذا تأملت الأشياء رأيتها مصنوعة على ما ينبغي فصلابة الأرض مثلا للسير عليها، ورقة الهواء

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٢٠)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٨٠٢).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٤١٨)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ٢١٤).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٢٩).

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٨٧٨)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٤/٣٢٨).

(٥) لسان العرب لابن منظور (١١/٣٩٣)، وينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٣٥٦).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٥١٠)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/٣٨٤).

(٧) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٢٥/١٤٠).

ليسهل انتشاقه للتنفس، وتوجه لهيب النار إلى فوق؛ لأنها لو كانت مثل الماء تلتهب يمينا وشمالا لكثرت الحرائق، فأما الهواء فلا يقبل الاحتراق).(١)

قَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر (خَلْقَهُ) ساكنة اللَّام، والمعنى: الذي جعل عباده يحسنون خلق كل شيء، ويحتمل أن يكون المعنى على المصدر فكأنه قال: الذي أحسن كل شيء خلقا وابتداء، وَقَرَأَ نَافِع وَعَاصِم وَحَمْزَة والكسائي ﴿خَلَقَهُۥ﴾ بفتح اللَّام، ويكون المعنى على الفعل الماضي، والهاء المتصلة به في موضع نصب؛ لأنها كناية عن مفعول به، ومعناه: أنه أحسن خلق كل شيء خلقه، فكوّنه على إرادته، ومشيئته، فله في كل شيء صنعة حسنة تدل بآثارها على وحدانيّته وحكمته.(٢)

ومعنى الآية: كل مخلوق من خلق الله تعالى فإن الله أحسن خلقه، وخلقه خلقا يليق به ويوافقه، فهذا عام ثم خص الآدمي لشرفه وفضله فقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ وذلك آدم عليه السلام أبو البشر ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ أي: ذرية آدم عليه السلام ناشئة ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ وهو النطفة المستقذرة الضعيفة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ بلحمه وأعضائه وأعصابه وعروقه، وأحسن خلقته، ووضع كل عضو منه بالمحل الذي لا يليق إلا به ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ بأن أرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح فيعود بإذن الله تعالى حيوانا بعد أن كان جمادا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَالأفْئِدَةَ﴾ أي ما زال يعطيكم من المنافع شيئا فشيئا حتى أعطاكم السمع والأبصار والأفئدة ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الذي خلقكم وصوركم فتستعملوا هذه القوى في طاعة الله تعالى.(٣)

سميت الذرية بالسلالة لأنها تنسل وتنفصل من أصلها، ومعنى ﴿سُلَٰلَةٍ﴾ خلاصة، وأصلها ما يسل ويخلص بالتصفية، ومعنى ﴿مَّهِينٍ﴾ ممتهن لا يعتنى به، وهو المني، وإضافة الروح إلى الله تعالى إضافة تشريف، وقدم ﴿ٱلسَّمْعَ﴾؛ لأن الإنسان يسمع أولا كلاما فينظر إلى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه(٤)، وقيل: قدم لكثرة فوائده فإن أكثر أمور الدين لا تعلم إلّا من جهته.(٥)

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/٢١٥).

(٢) أحمد بن موسى بن مجاهد، *السبعة في القراءات*، (مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ)، ص: (٥١٦)، والحسين بن أحمد بن خالويه، *الحجة في القراءات السبع*، (بيروت، دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ)، ص: (٢٨٧). وينظر: جامع البيان للطبري (١٨/٥٩٧)، وعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، *حجة القراءات*، (بدون مكان النشر، بدون دار النشر، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، ص: (٥٦٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٩٠)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٨/٤٣٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/٢١٥).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٤).

(٤) علي بن محمد الخازن، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ)، (٣/٤٠٣).

(٥) روح المعاني للآلوسي (١١/١٢٢).

ووحد السمع لأن الإنسان يسمع الكلام من أي جهة كان(١)، وقيل: لأنه عَنَى به المصدر يقع على القليل والكثير(٢)، وجمع الأبصار لأنه عَنَى به الأعينَ، وقيل: إنّ السمع وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى جماعة(٣)، وقيل: لأن لكل واحد سمع واحد(٤)، وقيل: لوحدة المسموع وهو الصوت دون الابصار والأفئدة لتنوّع المرئيات والمدركات.(٥)

وخص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاح لكل علم، فالقلب محله، وطريقه إما السماع وإما الرؤية، فلا وَصَلَ للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة، وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئا فشيئا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به؛ لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة.(٦)

وفي الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾؛ لأن المخاطبين من أفراد الناس، وجعل السمع والأبصار والأفئدة للناس كلهم غير خاص بالمخاطبين، فلما انتهض الاستدلال على عظيم القدرة، وإتقان المراد من المصنوعات المتحدث عنهم بطريق الغيبة الشامل للمخاطبين وغيرهم؛ ناسب أن يلتفت إلى الحاضرين بنقل الكلام إلى الخطاب؛ لأنه آثر بالامتنان وأسعد بما يرد بعده من التعريض بالتوبيخ في قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.(٧)

والامتنان بقوى الحواس وقوى العقل أقوى من الامتنان بالخلق والتسوية؛ لأن الانتفاع بالحواس والادراك متكرر متجدد فهو محسوس، بخلاف التكوين والتقويم فهو محتاج إلى النظر في آثاره، والعدول عن أن يقال: وجعلكم سامعين مبصرين عالمين إلى ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَالأفْئِدَةَ﴾؛ لأن ذلك

---

(١) لباب التأويل للخازن (٤٠٣/٣).

(٢) جامع البيان للطبري (٣٨٢/١)، مكي بن أبي طالب حَمّوش القيسي، *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علوم*، الشارقة، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، (١٤٨/١).

(٣) جامع البيان للطبري (٣٨٢/١).

(٤) التفسير الكبير للرازي (٢٩٥/٢).

(٥) ينظر: محمد صديق خان بن حسن البخاري، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، (صيدا، بيروت، المكتبة العصريَّة، بدون رقم طبعة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، (٨٩/١)، ومحيي الدين بن أحمد درويش، *إعراب القرآن وبيانه*، (حمص، دمشق، بيروت، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دار اليمامة، دار ابن كثير، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ)، (٢٩/١).

(٦) ينظر: فتح البيان لصديق حسن خان (٨٩/١)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٤٤٥).

(٧) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١٧/٢١).

أعرق في الفصاحة، ولما تؤذن به اللام من زيادة المنة في هذا الجعل؛ إذ كان جعلا لفائدتهم ولأجلهم، ولما في تعليق الأجناس من السمع والأبصار والأفئدة بفعل الجعل من الروعة والجلال في تمكن التصرف.(١)

ثم ذكر الله تعالى شيئا آخر من أباطيلهم وجناياتهم فقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد، ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: بَلِينَا وتمزقنا، وتفرقنا في المواضع التي لا تُعْلَمُ ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢ﴾، وهذا في نظرهم وقياسهم قدرة الخالق بقدرتهم؛ ولذا قال تعالى مبينا حقيقة قولهم: ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾، وإلا فلو كان قصدهم بيان الحق لتبين لهم من الأدلة القاطعة على ذلك ما يجعله مشاهدا للبصيرة بمنزلة الشمس للبصر.(٢)

وقوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢ﴾ الهمزة للإنكار، والمراد تأكيد الإنكار لا إنكار التأكيد(٣)، والكفر المثبت في قوله: ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ كفر خاص، وهو غير الكفر الذي دل عليه قولهم: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢ﴾؛ فإنه كفر بلقاء الله، لكنهم أظهروه في صورة الاستبعاد؛ تشكيكا للمؤمنين وترويجا لكفرهم، والإتيان بالجملة الاسمية لإفادة الدوام على كفرهم والثبات عليه.(٤)

ثم بين سبحانه وتعالى أنه جعل ملكا للموت وكيلا على قبض الأرواح وله أعوان(٥)، ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ أي: يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم.(٦)

ونسبة التوفي لملك الموت عليه السلام باعتبار أنه يباشر قبض الأرواح بأمر الله تعالى.

وملك الموت يستوفي النفوس لا يترك منها شيئا من جزئياتها و لا يبقي أحدا من البشر، وخلق الله تعالى جندا يكونون معه، يعملون عمله بأمره، فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، والبارئ خالق الكل، الفاعل حقيقة لكل فعل، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/٢١٧).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٤).

(٣) روح المعاني للآلوسي (١١/١٢٣).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/٢١٩).

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: (٦٥٤).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٢٣).

تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]، فملك الموت يقبض، والأعوان يعالجون، والله تعالى يزهق الروح؛ لأن كل شيء كائنًا ما كان لا يكون إلَّا بقضاء الله وقدره، وهذا هو الجمع بين الآيات والأحاديث، لكن لما كان ملك الموت متولي ذلك بالوساطة والمباشرة؛ أضيف التوفي إليه، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.(١)

وجاء في بعض التفاسير تسمية ملك الموت بعزرائيل، ولكن لم يرد اسم عزرائيل في القرآن(٢)، وخلاصة كلام أهل العلم في هذا: أنه لا يصح في تسمية ملك الموت بعزرائيل ولا غيره حديث، والله أعلم.(٣)

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة(٤):

١-بيان كيفية خلق الإنسان ومادة خلقه؛ لقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾.

٢-تكذيب النظرية الكاذبة، التي تقول: إن الخلق نشأ بالتطور، وأن أصل الإنسان قرد، ثم صار على طول الزمن إنسانا، وهي نظرية باطلة وكفر بالله سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ فلا أصدق من هذه الآية شيء.(٥)

٣-في قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ بيان لتمام قدرة الله تبارك وتعالى؛ حيث خلق هذا الإنسان العجيب في خلقه وفهمه وتدبيره وذكائه من هذا الشيء الجماد، وهو الطين.

٤-أن هذا الإنسان الذي خلق من الطين له نسل، وجعل له نسلا من أجل أن يبقى هذا النوع من المخلوقات؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾.

٥-بيان نعمة الله سبحانه وتعالى على الإنسان؛ بجعل السمع والأبصار والأفئدة التي بها الإدراك، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَالأفْئِدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٤/١٤)، وأضواء البيان للشنقيطي (٥٥٧/٦).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢١/٢١).

(٣) بكر بن عبد الله أبو زيد، معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، (الرياض، دار العاصمة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص: (٣٧٨).

(٤) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٤١)، ص: (٤٨)، وأيسر التفاسير للجزائري (٢٢٥/٤).

(٥) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٤٨).

٦-أنه ينبغي للإنسان أن يكون شكره على حسب النعمة؛ ففي السمع يستعمل السمع فيما يقرب إلى الله ويمنعه عما حرم الله، وكذلك في البصر، أما القلب فيجب عليه أن يعرض بقلبه عن كل ما حرم الله، وأن يقبل بقلبه على كل ما أمر الله به.(١)

٧-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ شكر العباد - إن شكروا - لا يوازي نعم الله تعالى عليهم.

٨-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ وجوب شكر النعم بالاعتراف بها، وذكرها، وحمد الله تعالى عليها، وصرفها في مرضاته.

٩-إثبات ملاقاة الله عز وجل يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾.

١٠-أن الذي يتولى قبض الأرواح ملك الموت؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾، وله أعوان من الملائكة.

١١-إثبات الرجوع إلى الله؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، ويؤخذ منه إثبات الجزاء؛ لأنه هذا هو المقصود من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

---

(١) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٥٠).

المبحث الخامس: الآيات من الآية (١٢) إلى الآية (١٤):

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [السجدة: ١٢-١٤].

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿نَاكِسُواْ﴾: النكس: قلب الشيء على رأسه، ونكس المجرمين رؤوسهم: مميلوها مطرقين ذلًا وخجلًا.(١)

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها:

(لما ذكر الله تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة ذكر حالهم في مقامهم بين يديه؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾).(٢)

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ الكافرون الذين أصروا على الذنوب العظيمة ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ خاشعين خاضعين أذلاء مقرين بجرمهم سائلين الرجعة قائلين: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾ أي: بان لنا الأمر ورأيناه عيانا فصار عين اليقين ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: صار عندنا الآن يقين بما كنا نكذب به.

ولعل تقديم البصر على السمع لأنه في يوم القيامة وقت معاينة الشدائد والأهوال، وعند رؤية العذاب، وقد جرت عادة القرآن الكريم والسنة المطهرة أن يتقدم السمع على البصر في الحديث عن الدنيا، أو في مجال التكليف، ونحو ذلك، وأن يتقدم البصر على السمع في مجال الوعد والوعيد، أو النعيم والعذاب، ونحو ذلك.

﴿وَلَوۡ﴾ (هي التي سماها غير واحد امتناعية، وجوابها ممَّن محذوف تقديره: لرأيت أمرا فظيعا لا يقادر قدره)(٣)، (والخطابُ في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ﴾ لكلِّ أحدٍ يصلُح له كائناً من كانَ؛ إذِ المرادُ بيانُ

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٨٢٤)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢٢٠/٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٤).

(٣) روح المعاني للآلوسي (١٢٥/١١).

كمالِ سوءِ حالِهم وبلوغِها من الفظاعةِ إلى حيثُ لا يختصُّ استغرابُها واستفظاعُها براءٍ دونَ راءٍ ممَّن اعتادَ مشاهدةَ الأمورِ الدَّواهيِ الفظيعةِ، بل كلُّ منْ يتأتى منْهُ الرؤيةُ يتعجبُ من هولِها وفظاعتِها).(١)

وقد علم الرب تعالى منهم أنهم لو أعادهم إلى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارا، يكذبون بآيات الله تعالى ويخالفون رسله عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨]، وقال هاهنا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾ [يونس: ٩٩] أي: لهدينا الناس كلهم، وجمعناهم على الهدى، فمشيئتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.(٢)

﴿حَقَّ﴾ وجب وسبق، و﴿ٱلْقَوْلُ﴾ هو قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، أي من الصنفين، فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها، نعوذ بالله منها.

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾، ﴿فَذُوقُواْ﴾ (يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعوماً لإحساسها به كإحساسها بذوق الطعام)(٣)، (وإضافة (يوم) إلى ضمير المخاطبين تهكم بهم؛ لأنهم كانوا ينكرونه فلما تحققوه جعل كأنه أشد اختصاصا بهم على طريقة الاستعارة التهكمية)(٤)، فيقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ﴾ أي: إنا سنعاملكم معاملة الناسي؛ لأنه تعالى لا ينسى شيئا ولا يضل عنه شيء، بل من باب المقابلة، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤](٥)، (وقد حقق هذا الخبر بمؤكدات وهي: حرف التوكيد، وإخراج الكلام في صيغة الماضي، على خلاف مقتضى الظاهر من زمن الحال؛ لإفادة تحقق الفعل حتى كأنه مضى ووقع).(٦)

---

(١) محمد بن محمد أبو السعود، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون رقم طبعة، بدون سنة النشر)، (٨٣/٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٤).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٣٦٠/٤).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٥/٢١).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٢/٦).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٦/٢١).

وقوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبًا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢٤-٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ﴾ وهو وإن أفاد تأكيد تسليط العذاب عليهم، فقد أفاد فائدة أخرى؛ وهي أن الجملة الأولى تضمنت أن من سبب استحقاقهم تلك الإذاقة إهمالهم التدبر في حلول هذا اليوم، والجملة الثانية تضمنت أن ذلك العذاب مستمر، وأن سبب استمرار العذاب وعدم تخفيفه أعمالهم الخاطئة، وهي أعم من نسيانهم لقاء يومهم ذلك.(١)

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة(٢):

١-بيان فظاعة ما يحل بالكافرين يوم القيامة؛ يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ والمقدر جوابها: لرأيت أمرا فظيعا.

٢-بيان عدم نفع الإيمان عند معاينة العذاب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

٣-إثبات مشيئة الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا﴾، وإثبات حكمته؛ حيث لم يؤت كل نفس هداها.(٣)

٤-أن كفار الجن يدخلون النار، تؤخذ من قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾.

٥-إطلاق النسيان على الترك؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾.

٦-أن عذاب النار دائم؛ لقوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾.

٧-أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

٨- أن الجزاء من جنس العمل؛ فكما أنهم أفنوا حياتهم في معصية الله؛ فإن حياتهم الآخرة أيضا ستكون في عذاب الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٦/٢١).

(٢) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٦٦)، (٧١)، وأيسر التفاسير للجزائري (٢٢٩/٤).

(٣) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٧١).

المبحث السادس: الآيات من الآية (١٥) إلى الآية (٢٢):

﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ١٥-٢٢].

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿يُؤۡمِنُ﴾: أصلُ الإيمان: التصديقُ.(١)

﴿تَتَجَافَىٰ﴾: جفا الشيء يجفو جفاء وتجافى: لم يلزم مكانه؛ فكل شيء إذا لم يلزم شيئا يقال: جفا عنه يجفو، كالسرج يجفو عن الظهر، وكالجنب يجفو عن الفراش.(٢)

﴿نُزُلَۢا﴾: النزل: ما يعد للنازل أي الضيف من الزاد.(٣)

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها:

(لما ذكر الله تعالى الكافرين بآياته وما أعد لهم من العذاب؛ ذكر المؤمنين بآياته، ووصفهم، وما أعد لهم من الثواب؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾).(٤)

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ (أوثرت صيغة المضارع في ﴿يُؤۡمِنُ﴾ لما تشعر به من أنهم يتجددون في الإيمان ويزدادون يقينا وقتا فوقتا)(٥)، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾ فتليت عليهم آيات القرآن وأتتهم النصائح ودُعُوا إلى التذكر، سمعوها فقبلوها، وانقادوا، و ﴿خَرُّواْ سُجَّدٗا﴾ أي: خاضعين لها، خضوع ذكر لله، وفرح بمعرفته.

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص: (٩).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٦٥/١)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (١٩٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٤٧/١٤).

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٨٠٠)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١٦٥/٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٥).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٧/٢١).

وقوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾ لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، وقابلوها بالانشراح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلى الصراط المستقيم، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ (جيء فيها بالمضارع لإفادة تكرر ذلك وتجدده منهم في أجزاء كثيرة من الأوقات المعدة للاضطجاع، وهي الأوقات التي الشأن فيها النوم)(١)، أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منها وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى(٢)، (وهذا تعريض بالمشركين إذ يمضون ليلهم بالنوم، لا يصرفه عنهم تفكر، بل يسقطون كما تسقط الأنعام، وقد صرح بهذا المعنى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بقوله يصف النبي صلى الله عليه وسلم، وهو سيد أصحاب هذا الشأن:

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ(٣)).(٤)

وجاء في فضل قيام الليل أحاديث كثيرة منها: عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ"(٥)، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنِ انْجَفَلَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"(٦)، وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ"،

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٨/٢١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: التهجد، باب: فضل من تعار من الليل فصلى، (٣٨٧/١)، رقم: (١١٠٤).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٩/٢١).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الصيام، بَاب: فَضْلِ صَوْمِ الْمُحَرَّمِ، (٨٢١/٢)، رقم: (١١٦٣).

(٦) رواه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ: الْأَطْعِمَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي فَضْلِ إِطْعَامِ الطَّعَامِ، (٢٨٧/٤)، رقم: (١٨٥٥)، وقال الترمذي: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١٢٩٨/٢)، رقم: (٧٨٦٥)، وابن ماجة في سننه، أبواب: إقامة الصلوات والسنة فيها، باب: ما جاء في قيام الليل، (٣٦٠/٢)، رقم: (١٣٣٤)، والإمام أحمد في المسند، (٢٠١/٣٩)، رقم: (٢٣٧٨٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين.

قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].(١)

وهنا سجدة من عزائم السجدات، فيسن السجود فيها.(٢)

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ دعاء عبادة، ودعاء مسألة؛ أما دعاء العبادة فبإخفائه والإخلاص فيه ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، وأما دعاء المسألة فلجلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما، ﴿خَوْفًا﴾ من عذاب الله تعالى ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه، فجمعوا بين الوصفين الخوف والطمع، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ ومن رزقنا قليلا أو كثيرا ﴿يُنفِقُونَ﴾ ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة في وجوه الخير(٣)، فهذا عملهم ثم بين جزاءهم فقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، فقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ نكرة في سياق النفي، فيعم جميع الأنفس(٤)، أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقا؛ فإن الجزاء من جنس العمل(٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "قَالَ اللَّهُ تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بشر"؛ فاقرؤوا إن

---

(١) رواه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ: الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، (١٢/٥)، رقم: (٢٦١٦)، وقال الترمذي: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٩١٣/٢)، رقم: (٥١٣٦).

(٢) ينظر: محمد بن أحمد السرخسي، *المبسوط*، (مصر، مطبعة السعادة، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، (٦/٢)، وعبد الله بن أحمد بن قدامة، *المغني*، (الرياض، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ويحيى بن شرف النووي، *روضة الطالبين وعمدة المفتين*، (بيروت، دمشق، عمان، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، (٣١٨/١)، وعبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، *إِرْشَادُ السَّالِك إِلَىَ أَشرَفِ المَسَالِكِ فِي فقهِ الإِمَامِ مَالِك*، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثالثة، بدون سنة النشر)، ص: (٢٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٥).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٤٣٨/٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٥/٦).

شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]"(١)، وقال الحسن البصري رحمه الله: (أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر).(٢)

ثم يخبر تعالى عن عدله وكرمه، وأنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا بآياته متبعا لرسله بمن كان فاسقا أي: خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسل الله تعالى إليه، فقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾، الهمزة للاستفهام الإنكاري، والكاف للتشبيه في الجزاء، وصرح هنا بعدم استوائهما مع إفادة الإنكار، لنفي المشابهة بالمرة على أبلغ وجه وآكده؛ لزيادة التأكيد وبناء التفصيل الآتي عليه، والجمع في قوله: ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ باعتبار معنى (من)، كما أن الافراد في قوله: ﴿مُؤْمِنًا﴾، وقوله: ﴿فَاسِقًا﴾ باعتبار لفظها، وقيل: الضمير لاثنين وهما المؤمن والكافر والتثنية جمع(٣)، وهذا المعنى جاء في آيات أخر؛ كقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]؛ ولذا قال تعالى ها هنا: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ أي: عند الله يوم القيامة؛ فهم ﴿لا يَسْتَوُونَ﴾ عقلا وشرعًا، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة(٤)،قال قتادة رحمه الله: (لا في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في الآخرة)(٥)، ثم بين مصير كل فريق؛ فقال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها، وهي الصالحات ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي: التي فيها المساكن والدور والغرف العالية ﴿نُزُلًۢا﴾ أي: ضيافة وكرامة ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ أي: خرجوا عن الطاعة(٦)، (والفاسق هنا هو: من ليس بمؤمن بقرينة قوله ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؛ فالمراد: الفسق عن الإيمان الذي هو الشرك وهو إطلاق كثير في القرآن)(٧)، وقوله تعالى: ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (٣/ ١١٨٥)، رقم: (٣٠٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، (٤/٢١٧٤)، رقم: (٢٨٢٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٩/٣١٠٧).

(٣) ينظر: روح المعاني للآلوسي (١١/١٣٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٩/٣١٠٩).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٦٩).

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/٢٣١).

أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢]، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (والله ما طمعوا في الخروج، إن الأيدي والأرجل لموثقة، ولكن يرفعهم لهبها، وتردهم مقامعها)(١)، ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ أي: يقول لهم خزنة جهنم، أو يقول الله لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾(٢)، وأظهر لفظ النار مع تقدمه من قبل لأمرين: الأول: لزيادة التهديد والتخويف وتعظيم الأمر، الثاني: أن الجملة حكاية لما يقال لهم يومئذ؛ فناسب أن يحكى كما قيل لهم، وليس فيما يقال لهم تقدم ذكر النار.(٣)

قال في هذه الآية ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠]؛ فجاء الاسم الموصول والضمير مذكرا، وقال في آية أخرى: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]؛ فجاء الاسم الموصول والضمير مؤنثا، والتوفيق بينهما أنه في الآية الأولى جاء وصف العذاب المضاف إلى النار؛ فلذا ذكر، وأما الآية الثانية فجاء وصف النار؛ فلذا أنث، والله أعلم.(٤)

ذلك هو العذاب الأخروي أما العذاب الذي يصيبهم في الدنيا فذكره بقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١](٥)، أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين مثالا من العذاب الأدنى، وروي في تعيين العذاب أقوالا: فعن (ابن عباس رضي الله عنه: يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها، وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه، وروي مثله عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وأبي العالية، والحسن، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وعلقمة، وعطية، ومجاهد، وقتادة، وعبد الكريم الجزري، وخصيف رحمهم الله، وقال ابن عباس في رواية عنه: يعني به إقامة الحدود عليهم، وقال البراء بن عازب رضي الله عنه، ومجاهد، وأبو عبيدة: يعني به عذاب القبر)(٦)، فالله توعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره، إذ توعدهم ذلك أن

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٤٨٦٤/٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٧/١٤).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٢/٢١).

(٤) ينظر: نصر بن محمد السمرقندي، *بحر العلوم*، (بيروت، دار الكتب العلمية، بدون رقم طبعة، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م)، (٣٨/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٢١٣/٢٥)، وملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي (٣٥٩/٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٤/٢٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٧/١٤).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٩/٦).

يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما توعدهم.(١)

(وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدْنَى﴾ أي: بعضا وجزءا منه، فدل على أن ثَمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار)(٢)، ولم يقل: الأبعد في مقابلة ﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾، أو الأصغر في مقابلة ﴿ٱلْأَكْبَرِ﴾؛ لأن الغرض هو التخويف والتهديد، وذلك إنما يحصل بالقرب لا بالبعد، وبالكبر لا بالصغر(٣)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾، ﴿مَنْ﴾ للاستفهام الانكاري؛ الذي يفيد النفي، أي: لا أحد أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها، فهو قد (ظلم نفسه؛ بحرمانها من التأمل فيما فيه نفعه، وظلم الآيات بتعطيل نفعها في بعض من أريد انتفاعهم بها، وظلم الرسول عليه الصلاة والسلام بتكذيبه والإعراض عنه، وظلم حق ربه إذ لم يمتثل ما أراد منه)(٤)؛ لذا لا أحد أظلم منه، وهو أظلم من كل أحد؛ ولهذا قال تعالى متهددا لمن فعل ذلك ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام.(٥)

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة(٦):

١-أن للإيمان علامات؛ لقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ إلى آخره، ومن ادعى الإيمان بدون علامة فدعواه باطلة.

٢-أن من علامة المؤمن انقياده للمواعظ؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾.

٣-فضيلة السجود؛ لقوله تعالى: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾.

٤-مدح التواضع لله تعالى وأهله، وذم الاستكبار وأهله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٣٢/١٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٦).

(٣) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٤٨/٢٥).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٤/٢١).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٠/٦).

(٦) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٨١)، (٨٦)، (٩٠)، وأيسر التفاسير للجزائري (٢٣١/٤).

٥- فضيلة قيام الليل والدعاء خوفاً وطمعاً؛ لقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾.

٦-فضيلة الإنفاق مما رزقك الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾.

٧-عظم نعيم الجنة، يؤخذ من قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾؛ إذ الإبهام يدل على التفخيم.

٨-بشرى المؤمنين الصادقين من ذوي الصفات المذكورة في الآيات بما تقر به العين في الجنة من المأكول والملبوس والمنكوح والمسكن ما لا يخطر على البال؛ لأن كل هذه الأربعة تقر بها العين(١)؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾.

٩-فضل الله عز وجل على العباد المؤمنين، فضله السابق واللاحق، فالسابق أن وفقهم للإيمان والعمل الصالح، واللاحق أن جعل هذا الجزاء على عملهم، قال تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.(٢)

١٠-بيان خطأ من يسوي بين المؤمن والكافر، والبار والفاجر، والمطيع والفاسق؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥].

١١-أن الإيمان لا يتم إلا بالعمل الصالح؛ لقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ فلا يكفي مجرد العقيدة، بل لا بد من عمل صالح.

١٢-أن الفسق نوعان: فسق أكبر، وهو الكفر، وفسق دون ذلك وهو المعاصي.(٣)

١٣-أن أهل النار يجمع لهم بين العذاب الجسمي والعذاب القلبي؛ قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.(٤)

١٤-بيان حكمة الله عز وجل فيما يبتلي به من المصائب؛ تؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾، ثم قال: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، وهذا كقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].(٥)

١٤-قبول التوبة من الكافر؛ لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

---

(١) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٩٠).

(٢) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٩٠).

(٣) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٩٩).

(٤) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١٠٠).

(٥) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١٠٢).

١٥-بيان أنه لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات الله ثم أعرض عنها مستكبراً جاحداً معانداً، فالإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها إجرام؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

المبحث السابع: الآيات من الآية (٢٣) إلى الآية (٢٥):

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة: ٢٣-٢٥].

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: المقصود به التوراة.

﴿مِرْيَةٍ﴾: المرية: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك.(١)

﴿يُوقِنُونَ﴾: اليقين: الأمر الثابت الذي لا شك يخالجه، وأصله من يقن الماء أي ثبت وسكن، وهو من صفة العلم فوق المعرفة والدراية، وأخواتهما.(٢)

﴿يَفْصِلُ﴾: الفصل: كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، حتى يكون بينهما فرجة، يقال: فصلت الشيء فصلا، والفصل: القضاء بين الحق والباطل، والفيصل: الحاكم.(٣)

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها:

(لما ذكر الله تعالى آياته التي ذكّر بها عباده، وهو القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ذكر أنه ليس ببدع من الكتب ولا من جاء به بغريب من الرسل عليهم السلام)(٤)؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾.

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ المقصود بالكتاب التوراة المصدقة للقرآن، التي قد صدقها القرآن، فتطابق حقهما، وثبت برهانهما، ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ لأنه قد تواردت أدلة الحق وبيناته، فلم يبق للشك محل.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٧٦٦)، وينظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٨٥/٤).

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٨٩٢)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٣٥٦/٤).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥٠٥/٤)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٦٣٨)، ولسان العرب لابن منظور (٥٢١/١١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٦).

واختلف المفسرون رحمهم الله في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ إلى عدة أقوال، أظهرُها قولان(١):

القول الأول: أن الضمير يرجع إلى موسى عليه السلام، ويكون معنى الآية: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى، ولقد لقيته ليلة الإسراء، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن النَبِيّ صلى الله عليه وسلم قال: "رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ، طُوَالًا، جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا، مَرْبُوعَ الْخَلْقِ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ"، فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾(٢)، وكَانَ قَتَادَةُ يفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ لَقِيَ مُوسَى(٣)، وقال أبو العالية قد بين الله ذلك في قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

---

(١) الدر المصون للسمين الحلبي (٩/ ٨٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ من ذنبه، (١١٨٢/٣)، رقم: (٣٠٦٧)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، (١٥١/١)، رقم: (١٦٥)، والإمام أحمد في المسند (٧٧/٤)، رقم: (٢١٩٧)، وسليمان بن أحمد الطبراني، *المعجم الكبير*، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، بدون سنة النشر)، (١٥٧/١٢)، رقم: (١٢٧٤٩)، وأحمد بن الحسين البيهقي، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، (بيروت، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، (٣٨٦/٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب: الإيمان، باب: الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، (١٥١/١)، رقم: (١٦٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٨٦/٢)، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨/٥).

قال بهذا مجاهد، وابن السائب، والطبري، والواحدي، والخازن، وابن كثير(١)، وهذا ما (ذهب إليه كثير من المفسرين أيضا؛ أن الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام، والضمير يعود على موسى عليه السلام).(٢)

القول الثاني: يرجع الضمير إلى الكتاب؛ فأضمر موسى عليه السلام لتقدم ذكره، وأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب وتقديره: فلا تكن في شك من تلقي موسى الكتاب؛ وفي ذلك مدح على امتثاله ما أمر به، وتنبيه على الأخذ له بالرضى والقبول.

قال بهذا السدي، والفارسي، والبقاعي، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي، والمراغي.(٣)

وهذا القول أليق بسياق السورة التي تنفي أن يكون هذا القرآن فيه ريب، كما أن كتاب موسى عليه السلام لا ريب في تلقي موسى له من رب العالمين(٤)؛ فكذلك القرآن وحي سماوي وكتاب إلهي.

ونهيه عليه الصلاة والسلام عن أن يكون في شك المقصود منه نهي أمته صلّى الله عليه وسلم، والتعريض بمن اتصف بذلك، وهذا كقوله تعالى:ذ ﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ فالنهي مستعمل في حقيقته من

---

(١) جامع البيان للطبري (٦٣٦/١٨)، وعلي بن أحمد الواحدي، *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، (دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ)، ص: (٨٥٥)، ولباب التأويل للخازن (٤٠٦/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧١/٦).

(٢) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١٠٨)، وينظر: النكت والعيون للماوردي (٣٦٦/٤)، وعبد الحق بن غالب بن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ)، (٤/ ٣٦٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٤٣/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٢٥/ ١٥٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ١٠٨).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٦٠٤/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٦٤/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٤٣/٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٥٠/٢٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٨/١٤)، ونظم الدرر للبقاعي (٢٦٥/١٥)، ومحمد بن محمد أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون رقم طبعة، بدون سنة النشر)، (٨٦/٧)، وروح المعاني للآلوسي (١٣٤/١١)، ومحمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، *محاسن التأويل*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ)، (٤٣/٨)، وتفسير المراغي (١١٧/٢١)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٦).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٦).

طلب الكف عن المرية في إنزال القرآن(١)، و(التعبير باللقاء دون الإيتاء من تعظيم شأنه صلّى الله تعالى عليه وسلم ما لا يخفى على المتدبر)(٢)

﴿وَجَعَلۡنَٰهُ﴾ المعنى الأول: أي الكتاب الذي آتيناه موسى(٣)، والمعنى الثاني: وجعلنا موسى عليه السلام، وفي الحديث عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قَالَ: "جَعَلَ مُوسَى هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ"(٤)، وهو قول الحسن وقتادة رحمهما الله، وقال به الطبري(٥)، وكلا القولين صحيح؛ لأنه سبب هدى(٦)، ﴿هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ يهتدون به في أصول دينهم وفروعه، وشرائعه موافقة لذلك الزمان في بني إسرائيل.

وأما هذا القرآن الكريم، فجعله الله هداية للناس كلهم، لأنه هداية للخلق، في أمر دينهم ودنياهم، إلى يوم القيامة، وذلك لكماله وعلوه ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤](٧)، وفي الآية تعريض بالمشركين إذ لم يشكروا نعمة الله على أن أرسل إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ليهتدوا فأعرضوا وكان الصواب الإيمان بها(٨)، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدى، والمؤمنون به منهم، على قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم، والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا

---

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي (١٣٥/١١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/ ٢٣٦).

(٢) روح المعاني للآلوسي (١٣٥/١١).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧١/٦)، وروح المعاني للآلوسي (١٣٥/١١)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٦).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٠/١٢)، رقم: (١٢٧٥٨)، من رواية سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وقال الهيثمي: (رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ) علي بن أبي بكر الهيثمي، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، (القاهرة، مكتبة القدسي، بدون رقم طبعة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، (٩٠/٧)، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧١/٦).

(٥) يحيى بن سلام القيرواني، *تفسير يحيى بن سلام*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، (٦٩٤/٢)، وجامع البيان للطبري (٦٣٧/١٨)

(٦) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٦/٢١).

(٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٦).

(٨) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٧/٢١).

هذه الدرجة العالية ﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات. (١)

قراءة الجمهور ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام وتشديد الميم وفتحها، وهي حرف وجود لوجود، وتسمى التوقيتية، بمعنى: إذ صبروا، وحين صبروا، وقرأ حمزة والكسائي ورويس عن يعقوب: (لِمَا) على أنها مركبة من لام التعليل و(ما) المصدرية، بمعنى: لأجل صبرهم عن الدنيا وشهواتها، واجتهادهم في طاعتنا.(٢)

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين؛ لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك، فبالصبر واليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين.(٣)

وفي الآية تعريض بالبشارة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ومن سار على نهجهم، بأنهم يكونون أئمة لدين الإسلام وهداة للمسلمين؛ إذ صبروا على ما لحقهم في ذات الله من أذى قومهم، وصبروا على مشاق التكليف، ومعاداة أهل الباطل لهم.(٤)

وثَمَّ مسائل اختلف فيها بنو إسرائيل، منهم من أصاب فيها الحق، ومنهم من أخطأه، خطأ أو عمدًا، والله تعالى ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾، وهذا القرآن يقص على بني إسرائيل، بعض الذي يختلفون فيه، فكل خلاف وقع بينهم، ووجد في القرآن تصديق لأحد القولين، فهو الحق، وما عداه مما خالفه باطل(٥)، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته؛ تحذيرا من الخلاف الباطل، وإيماء إلى وجوب تجنب الاختلاف الذي لا يدعو إليه داع في مصلحة الأمة وفهم الدين، وهو يقتضي أن اختلافهم أوقعهم في إبطال ما جاءهم من الهدى، فهو اختلاف غير مستند إلى أدلة، ولكنه متابعة للهوى وأغراض الدنيا كما وصفه القرآن في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٣٧/١٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٩/١٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٧/٢١).

(٢) ينظر: محمد بن محمد ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر*، (بدون مكان النشر، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ سنة النشر، بدون سنة النشر)، (٣٤٧/٢)، وأحمد بن محمد الدمياطيّ، *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ)، ص: (٤٥٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٦).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٧/٢١).

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٦).

وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وليس منه اختلاف أئمة الدين في تفاريع الأحكام، وفي فهم الدين، مما لا ينقض أصوله ولا يخالف نصوصه، وإنما هو إعمال لأصوله ولأدلته في الأحوال المناسبة لها، وحمل متعارضها بعضه على بعض؛ فإن ذلك كله محمود غير مذموم، وقد اختلف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم في حياته فلم يعنف أحدا، واختلفوا بعد وفاته فلم يعنف بعضهم بعضا.(١)

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة(٢):

١-إثبات رسالة موسى عليه السلام؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾، وتأكيد هذه الرسالة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾ فالجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات: اللام، وقد، والقسم المقدر.

٢-أن التوراة كالقرآن هدى؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى﴾ لكنها لبيان مخصوص وهو: ﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛ لذا ينبغي لنا أن لا نطلب الهدى منها بعد بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ فالهدى هو القرآن.(٣)

٣-فضيلة الصبر، وفضيلة اليقين؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

٤-أن الجزاء من جنس العمل؛ لأن هؤلاء لما صبروا وأيقنوا صاروا أئمة يقتدى بهم.(٤)

٦-أنه لا حاكم في الآخرة إلا الله، لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ﴾، فهو وحده يفصل، وقد قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].(٥)

٧-كل خلاف كان في هذه الحياة سينتهي بحكم الله تعالى فيه يوم القيامة؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.(٦)

---

(١) نظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/٢٣٨).

(٢) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٩٢)، وأيسر التفاسير للجزائري (٤/٢٣٦)، (٤/٢٣٨)

(٣) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١١١).

(٤) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١١٤).

(٥) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١١٦).

(٦) أيسر التفاسير للجزائري (٤/٢٣٦).

المبحث الثامن: الآيات من الآية (٢٦) إلى آخر السورة الكريمة:

﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ٢٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠﴾ [السجدة: ٢٦-٣٠].

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿ٱلۡقُرُونِ﴾: جمع قرن، وهم القوم المقترنون في زمن واحد.(١)

﴿ٱلۡجُرُزِ﴾: الأرض التي لا نبات بها، وأصله من الجرز وهو القطع.(٢)

﴿ٱلۡفَتۡحُ﴾: الحكم والقضاء.(٣)

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها:

(لما تقدم عن الكفار في هذه السورة قولان: أحدهما في التكذيب بالقرآن، والثاني في إنكار البعث، ودلل سبحانه على فسادهما، إلى أن ختم بذكر الآيات، والبعث والفصل بين المحق والمبطل، أتبعه استفهامين إنكاريين منشورين على القولين، وختمت آية كل منهما بآخر(٤)؛ فتصير الاستفهامات أربعة)(٥)؛ فقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الآيات.

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وضمن فعل يهد معنى يبين؛ لذا عدي باللام فأفاد هداية واضحة بينة لهؤلاء المكذبين بالرسول صلى الله عليه وسلم ويهديهم إلى الصواب(ل٦)، و﴿كَمۡ﴾ هي الخبرية؛ وفائدتها تحصل بترتيب الاستدلال في تواتر الأخبار، ولا تحصل دفعة كما تحصل

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٦٦٧)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٣٠٠/٣)، وينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٧٧/٥).

(٢) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٣١٨/١)، وينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٤١/١)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (١٩١).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٤٦٩/٤)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٦٢٢)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١٩٣/٣).

(٤) أي: باستفهام آخر

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٦٧/١٥).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٩/٢١).

دلالة المشاهدات(١)، ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية، بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم، والمعنى: أولم يتبين لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الذين سلكوا مسالكهم فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر؟ ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]؛ ولهذا قال: ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ فيشاهدونها؛ وذلك أنهم يمرون في متاجرهم وعلى ديارهم وبلادهم عيانا كقوم هود وصالح ولوط قد ذهبوا وبقيت مساكنهم كأن لم تسكن وتعمر، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ [الأعراف: ٩٢]، كما قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: ٥٢]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي فيما ذكر من اهلاكنا للأمم الخالية الفانية أو في مساكنهم(٢)، ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ يستدل بها على صدق الرسل التي جاءتهم وبطلان ما هم عليه من الشرك والشر، وعلى أن من فعل مثل فعلهم فُعِلَ بهم مثلهم ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤]، وأفاد كذلك تمثيل البعث وتقريب إمكانه كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠-٦١](٣)، ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ الاستفهام تقريري مشوب بالتوبيخ، والفعل المضارع ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أفاد تكرار استماعهم وتجدده، والمعنى أفلا يسمعون آيات الله فيعوها وينتفعوا بها فلو كان لهم سمع صحيح، وعقل رجيح، لم يقيموا على حالة يجزم بها بالهلاك.(٤)

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ بأبصارهم نعمتنا، وكمال حكمتنا ﴿أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ التي لا نبات فيها لانقطاع الأمطار عنها، فيسوق الله المطر، الذي لم يكن قبل موجودًا فيها، فيفرغه فيها، من السحاب أو من الأنهار، وهذا في كل أرض وليس أرضا محددة، و (ال) في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ للاستغراق، ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ أي: نباتًا، مختلف الأنواع ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ﴾ وهو نبات البهائم ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ وهو طعام الآدميين(٥)، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].(٦)

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/٢٤٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٧٢).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/٢٤٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٧).

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٣٧٣).

وقدم الأنعام لأن انتفاعها مقصور على ذلك، والإنسان قد يتغذى بغيره، ولأن أكلها منه مقدم؛ لأنها تأكل قبل أن يثمر ويخرج سنبله، وقيل: ليترقى من الأدنى إلى الأشرف وهم بنو آدم(١)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ تلك المنة، التي أحيا الله بها البلاد والعباد، فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر وتلك البصيرة إلى الصراط المستقيم، ولكن غلب عليهم العمى، واستولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك بصر العالمين، وإنما نظروا إلى ذلك نظر الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفقوا للخير.(٢)

وفي الآية دليل على إمكان البعث وتقريبه بإخراج النبات من الأرض الجرز(٣)، وجعلت الفاصلة هنا ﴿يُبْصِرُونَ﴾؛ لأن الزرع مرئي، وفيما قبلها ﴿يَسْمَعُونَ﴾؛ لأن ما قبله مسموع، وقيل: ترقيا إلى الأعلى في الاتعاظ مبالغة في التذكير ورفع العذر.(٤)

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ أي: الفصل والقضاء الذي يفتح بيننا وبينكم، بتعذيبنا على زعمكم، وهذا استعجال من الكفار لعذاب الله، استبعادا له، وتكذيبا وعنادا، وحكاية قولهم بصيغة المضارع للتعجب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم، ﴿قُلْ﴾ تبكيتا لهم وتحقيقا، ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون به شيئًا، فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم، لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقينًا، لكان لذلك وجه، ولكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر، ولم يبق للمحنة محل، إذ ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾؛ لأنه صار إيمانا ضروريا، وإظهار وصف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ في مقام الإضمار مع أنهم هم القائلون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ لقصد التسجيل عليهم بأن كفرهم هو سبب خيبتهم(٥)، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم.(٦)

ومن قال: إن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أخطأ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قَبِلَ إسلام الطلقاء، وكانوا قريبا من ألفين، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾

---

(١) ينظر: أحمد بن محمد الخفاجي، *عِنَايَةُ القَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ البَيضَاوِي*، (بيروت، دار صادر، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، (٧/ ١٥٥)، وروح المعاني للآلوسي (١٣٧/١١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٧).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٩/٢١).

(٤) عنايه القاضي للخفاجي (٧/ ١٥٥).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤٣/٢١).

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٧).

[إبراهيم: ١٥]، وكقوله تعالى: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الشعراء: ١١٨]، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، وغيرها من الآيات.(١)

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لما وصل خطابهم إلى حالة الجهل، واستعجال العذاب، ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه، ولكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم ولا يتأخر، ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بك الموت، ومتربصون بكم دوائر السوء، والعاقبة للتقوى(٢)، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠](٣)، وكقوله تعالى: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢٢]، فإن قيل: كيف ينتظرون القيامة وهم لا يؤمنون بها؟ ففي هذا جوابان: الأول: المعنى أنهم منتظرون الموت وهو من أسباب القيامة، والثاني: أن فيهم من يشك وفيهم من يؤمن بالقيامة، فيكون هذا جوابا لهذين الصنفين(٤)، والله أعلم.

وقد قال بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة بآية السيف(٥)، والصواب والله أعلم أن هذه الآية ليست بمنسوخة فإن الأمر بالإعراض هو (إعراض متاركة عن الجدال وقتيا لا إعراض مستمر، ولا عن الدعوة إلى الله، ولا علاقة له بأحكام الجهاد المشروع في غير هذه الآية).(٦)، و(قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال كالهدنة وغيرها).(٧)

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة(٨):

١-أن في إهلاك الله تعالى للقرون السابقة أكبر واعظ لمن له قلب وسمع وبصيرة، وفيها عبرة وآية؛ لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾، فهو آية؛ لكون الله تعالى أخذهم وأهلكهم مع قوتهم، وهي عبرة؛ لأن الله أخذهم لمخالفته.(٩)

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٤/٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٦٥٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٤/٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٢/١٤).

(٥) قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥]: (هذه الآية الكريمة هي آية السيف). تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٢/٤).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤٣/٢١).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٢/١٤)، وينظر: عبدالمنعم بن عبد الرحيم ابن الفرس، *أحكام القرآن*، (بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، والإتقان للسيوطي (٦٨/٣).

(٨) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١٢١)، (١٢٦)، (١٢٩)، (١٣١)، وأيسر التفاسير للجزائري (٢٣٨/٤).

(٩) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١٢٣)، وأيسر التفاسير للجزائري (٢٣٦/٤).

٢-تقرير عقيدة البعث والجزاء، بذكر الأدلة المقررة لها؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾

٣- في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ دليل على وجوب النظر في الآيات؛ لأن الاستفهام للتوبيخ وللوم من لم ينتفع بذلك.

٤- يؤخذ من قوله تعالى: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ أن الأصل فيما نبت في الأرض الحل حتى يقوم دليل على التحريم.(١)

٥-استعجال الكافرين العذاب دال على جهلهم وطيشهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

٦-عند معاينة العذاب لا تقبل التوبة ولا مجال للإنظار؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

---

(١) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١٢٦).

المبحث التاسع: البلاغة:

تضمنت السورة الكريمة ضروبًا، وأنواعًا من الفصاحة والبيان والبديع، منها(١):

١-الإضافة للتشريف في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣]، إظهارًا بأنه خلق عجيب ومخلوق شريف.

٢-الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ والأصل وجعل له السمع، والنكتة: أن الخطاب إنما يكون مع الحي، فلما نفخ تعالى الروح فيه حسن خطابه مع ذريته.

٣-حذف جواب ﴿لَوْ﴾ للتهويل، في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

٤-التهكم في قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ﴾؛ لأن الذوق حقيقة في الشيء اللذيذ.

٥- إضافة الموصوف إلى صفته للتأكيد، في قوله تعالى: ﴿عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ مثل عذاب الحريق؛ لأن المعنى العذاب المخلد.

٦- الحصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، أي: ما يؤمن بآياتنا إلا الذين إذا ذكروا بآيات ربهم إلخ.

٧-الكناية عن كثرة العبادة والتبتل ليلًا في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾.

٨-التنكير في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾؛ لقصد العموم؛ أي: أي نفس كانت.

٩-حذف العامل في قوله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ لقصد الإيجاز؛ أي: جوزوا جزاءً بما كانوا إلخ. والله سبحانه وتعالى أعلم.

تم تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة.

---

(١) محمد الأمين بن عبد الله الهرري، *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، (بيروت، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، (٢٢/٣٦٩ - ٣٧١).

الفصل الثاني

تفسير سورة الإنسان

المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة:

المطلب الأول: أسماء سورة الإنسان:

جاء تسمية هذه السورة بعدة أسماء هي:

١- سورة ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]: وهو الاسم الذي كان في زمن الصحابة رضي الله عنهم؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ، فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [السجدة: ١-٢] السجدة، و ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]).(١)

٢- سورة الدهر: وهو ما عنونها به ابن قتيبة في غريب القرآن وابن العربي في أحكام القرآن وابن الجوزي في زاد المسير، وأبو البقاء العكبري في التبيان في إعراب القرآن بهذا الاسم.(٢)

٣- سورة الإنسان: وهو الاسم الموجود في المصحف، وكتب التفسير، واقتصر السيوطي رحمه الله في الاتقان على هذا الاسم(٣)، ولم يذكرها في عداد السور التي لها أكثر من اسم.(٤)

٤- سورة الأمشاج: لوقوع لفظ الأمشاج في قوله تعالى: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ [الإنسان: ٢]؛ ولم يقع في غيرها من القرآن.(٥)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، بَاب: مَا يُقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الجمعة، (١/ ٣٠٣)، رقم: (٨٥١).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص: (٥٠٢)، ومحمد بن عبد الله بن العربي، *أحكام القرآن*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م)، (٣٥٢/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٤/٤)، وعبد الله بن الحسين العكبري، *التبيان في إعراب القرآن*، (مصر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون رقم طبعة، بدون سنة النشر)، (٢/ ١٢٥٧).

(٣) الإتقان للسيوطي (٥١/١).

(٤) الإتقان للسيوطي (١٩٦/١).

(٥) عنايه القاضي للخفاجي (٢٨٤/٨)، وإبراهيم بن عمر البقاعي، *مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ*، (الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، (١٤٣/٣)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٣٧٣/٩)، وفتح البيان لصديق حسن خان (٤٥٣/١٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٦٩/٢٩).

المطلب الثاني: ما ورد في فضل سورة الإنسان:

١-عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ، فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [السجدة: ١-٢] السجدة، و ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]).(١)

٢- أنها من سور المفصل التي جاء في فضلها ما رواه وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ"(٢)، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَاماً، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَاباً، وَإِنَّ لُبَابَ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلُ).(٣)

٣- أنها من السور التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن في قيام الليل؛ فعن علقمةَ والأسود رحمهما الله قالا: (أتى ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه رجلٌ فقال: إني أقرأ المُفَصَّل في رَكعة، فقال: أهذّاً كهذِّ الشِّعرِ؟ ونثراً كنثر الدَّقَل؟ لكنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ النَّظائرَ السُورتين في رَكْعةٍ، (الرحمن، والنجم) في ركعة، و (اقتربت، والحاقة) في ركعة، و (الطور، والذاريات) في ركعة، و (إذا وقَعَت، ونون) في ركعة، و (سأل سائل، والنازعات) في ركعة، و (وَيْلٌ للمطففين، وعبس) في ركعة، و (المدَّثر، والمزمّل) في ركعة، و (هل أتى، ولا أقسمُ بيوم القيامة) في ركعة، و (عمَ يتساءلون، والمرسلات) في ركعة، و (الدخان، وإذا الشمسُ كورت) في ركعة).(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، بَاب: مَا يُقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الجمعة، (١/ ٣٠٣)، رقم: (٨٥١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١٨٨/٢٨)، رقم: (١٦٩٨٢)، وحسن إسناده محققو المسند، ورواه سليمان بن داود الطيالسي، *مسند أبي داود الطيالسي*، (مصر، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، (٣٥١/٢)، رقم: (١١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢٤١/١)، رقم: (١٠٥٩).

(٣) رواه أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة، *المصنف*، (الرياض، دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، (٤٩٧/١٦)، رقم: (٣٢٣٠١).

(٤) رواه أبو داود في سننه،كتاب: الصلاة، باب: تحزيب القرآن، (٥٤٣/٢)، رقم: (١٣٩٦)، وأصل الحديث في صحيح مسلم، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب: تَرْتِيلِ الْقِرَاءَةِ وَاجْتِنَابِ الْهَذِّ، وَهُوَ الإِفْرَاطُ في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة، (٥٦٤/١)، رقم: (٧٢٢).

المطلب الثالث: هل سورة الإنسان مكيّة أم مدنيّة؟

اختلف في مكيّتها من مدنيّتها على عدة أقوال:

القول الأول: أنها مكيّة؛ قال به: ابن عباس رضي الله عنهما، وابن الزبير رضي الله عنه، وعطاء بن يسار، ومقاتل، والكلبي، ويحيى بن سلام، والزجاج، والبيضاوي، وابن كثير، ونسبه الخازن للجمهور، وصححه ابن عاشور.(١)

القول الثاني: أنها مدنيّة؛ قال به: ابن عباس رضي الله عنه في رواية أخرى، ومُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وجابر بن زيد، وابن حزم، والواحدي، وابْنِ جُزَي الكَلْبِيُّ، والسيوطي، ونسبه ابن الجوزي للجمهور.(٢)

القول الثالث: أن فيها آيات مكيّة وآيات مدنيّة؛ ثم في هذا قولان:

أحدهما: أن المكي منها آية، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان: ٢٤]، وباقيها جميعه مدني، قاله الحسن وعكرمة رحمهما الله.(٣)

الثاني: أن أولها مدني إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٣]، ومن هذه الآية إلى آخرها مكي.(٤)

والراجح والله أعلم أن هذه السورة، من السور المكيّة الخالصة؛ وذلك لما يلي:

---

(١) إبراهيم بن السري الزجاج، *معاني القرآن وإعراب* ، (بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، (٥/ ٢٥٧)، وأحمد بن محمد النحاس، *الناسخ والمنسوخ*، (الكويت، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ)، ص: (٧٥٧)، والنكت والعيون للماوردي (١٦١/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٤/٤)، وعبد الله بن عمر البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ)، (٢٦٩/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٥/٨)، ولباب التأويل للخازن (٣٧٦/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٣٦٥/٨)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٠/٢٩).

(٢) البيان في عد آي القرآن للداني ص: (٢٦٠)، وعلي بن أحمد بن حزم، *الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص: (٦٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٤/٤)، ومحمد بن أحمد الكلبي، *التسهيل لعلوم التنزيل*، (بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ)، (٤٣٦/٢)، ولباب التأويل للخازن (٣٧٦/٤)، والدر المنثور للسيوطي (٣٦٥/٨)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٠/٢٩).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٣٧٤/٤)، ولباب التأويل للخازن (٣٧٦/٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٠/٢٩).

(٤) النكت والعيون للماوردي (١٦١/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٤/٤)، ولباب التأويل للخازن (٣٧٦/٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٠/٢٩).

أولا: ما امتازت به من خصائص وسمات السور المكيّة؛ من بيان دلائل القدرة الإلهية في خلق الإنسان، والتذكير بيوم القيامة، والمصير المحتوم للبشر بدخول الجنة أو النار، والحديث عن الجنة وما أعده الله تعالى للمؤمنين فيها، وبيان صفات الأبرار، والدعوة إلى التوحيد والابتعاد عن الشرك بالله عز وجل وعبادته وحده، والصبر على أذى المشركين، والحديث عن القرآن الكريم، والحث على مداومة ذكر الله تعالى وطاعته، مع قصر الألفاظ، وقوة المعاني، وايجاز العبارة.

ثانيا: من العلماء المحققين من اقتصر عند تفسيره لهذه السورة، بالقول بأنها مكيّة، دون أن يذكر في ذلك خلافا؛ مما يوحى بأنه لا يعتد بقول من قال بأنها مدنيّة، كعلم الدين السخاوي، والبيضاوي، وابن كثير رحمهم الله(١)، و من العلماء المحققين من صحح القول بمكيّتها بعد ذكر الخلاف كابن عاشور رحمه الله.(٢)

المطلب الرابع: خصائص السورة:

هي السورة السادسة والسبعون بحسب ترتيب المصحف الشريف، وهي مئتان وَاثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ كلمة، وحروفها ألف وَأَرْبَعَة وَخَمْسُونَ حرفا، وَآياتها إِحْدَى وَثَلَاثُونَ آيَة فِي جَمِيع الْعدَد لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف.(٣)

وتحمل السورة الكريمة خصائص السور المكية؛ فمن خصائصها بيان دلائل القدرة الإلهية في خلق الإنسان، والتذكير بيوم القيامة، والمصير المحتوم للبشر بدخول الجنة أو النار، والحديث عن الجنة وما أعده الله تعالى للمؤمنين فيها، وبيان صفات الأبرار، والدعوة إلى التوحيد والابتعاد عن الشرك بالله عز وجل وعبادته وحده، والصبر على أذى المشركين، والحديث عن القرآن الكريم، والحث على مداومة ذكر الله تعالى وطاعته، مع قصر الألفاظ، وقوة المعاني، وايجاز العبارة.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها:

ذكر السيوطي رحمه الله عدة مناسبات بين سورة القيامة وسورة الإنسان؛ منها:

١-لما ذكر الله تعالى في آخر سورة القيامة مبدأ خلق الإنسان من نطفة، ذكر مثل ذلك في مطلع سورة الإنسان، مفتتحًا بخلق آدم عليه السلام أبي البشر.

٢-لما وصف الله تعالى حال يوم القيامة في سورة القيامة، ولم يصف فيها حال النار والجنة؛ بل ذكرهما على سبيل الإجمال، فصل ذكرهما في سورة الإنسان، وأطنب في وصف الجنة.

---

(١) علي بن محمد السخاوي، *تفسير القرآن العظيم*، (بدون مكان النشر، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، (٢/٥٤٧)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٥/٢٦٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٨٥).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/٣٧٠).

(٣) البيان في عد آي القرآن للداني ص: (٢٦٠)، وحسن المدد في فن العدد للجعبري ص: (١٤٣).

٣-لما ذكر الله تعالى في سورة القيامة حب المشركين للعاجلة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠-٢١]؛ ذكر هذا أيضا في سورة الإنسان: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

٤-لما ذكر الله تعالى في آخر آيات سورة القيامة مراحل نمو الإنسان ثم جعل منه بعد ذلك زوجين: ذكرا وأنثى، ختمت السورة الكريمة بسؤال فقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]؛ ثم افتتحت سورة الإنسان بسؤال أيضاً فقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، كل ذلك تقريرا لعظيم قدرة الله تعالى في إحياء الموتى؛ فيا من تشك في ذلك، ألم يأت عليك زمان لم تكن فيه مذكورا؛ فأيهما أهون؟ الخلق بعد الوجود، أم الخلق من عدم؟ فسبحان القائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].(١)

المطلب السادس: موضوعات السورة:

حوت السورة الكريمة عدة موضوعات جليلة سامية منها:

أولا: بينت السورة الكريمة حالة الإنسان؛ مبتدأها ومتوسطها ومنتهاها.

ثانيا: الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد، فكيف يقضي الإنسان باستحالة إعادته بعد وجوده.

ثالثا: إثبات أن الإنسان محقوق بإفراد الله بالعبادة شكرا لخالقه.

رابعا: الامتنان على الناس بنعمة الإدراك، والتمييز بين الخير والشر، وإرشادهم إلى الخير بواسطة الرسل عليهم السلام؛ فمن الناس من شكر نعمة الله، ومنهم من كفرها فعبد غيره.

خامسا: بينت السورة بعض أَنواع عِقاب العصاة، وما هُيِّئ للمتقين من أَنواع النَّعيم بتفصيل وإسهاب.

سادسا: ذِكرُ المِنَّةِ على الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بإنزالِ القُرآنِ عليه من عند الله تعالى.

سابعا: تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على القيام بأعباء الرسالة، والصبر على ما يلحقه في ذلك، وتحذيره صلى الله عليه وسلم من طاعة الكافرين، والإكثار من ذكر الله تعالى بكرة وأصيلا، والسُّجودِ له، وتسبيحِه.

ثامنا: وضحت السورة أَنها - وآيات القرآن - كله عِظَة، وعلَّقت الانتفاع بها على مشيئته سبحانه وتعالى؛ فله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

تاسعا: بيانُ أنَّ مَشيئةَ اللهِ تعالى فوقَ كُلِّ مَشيئةٍ.

---

(١) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ص: (١٥٠).

عاشرا: بيان أن حكمته تعالى اقتضت أنه: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ [الإنسان: ٣١].(١)

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٣٧٠/١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٥/٨)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠٠)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧١/٢٩).

المبحث الثاني: الآيات من الآية (١) إلى الآية (٦):

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ١-٦]

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿حِينٞ﴾: الحين: وقت بلوغ الشيء وحصوله، وهو مبهم المعنى، ويتخصّص بالمضاف إليه، وهو هنا للزّمان المطلق.(١)

﴿ٱلدَّهۡرِ﴾: الدّهر في الأصل: اسم لمدّة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، ثمّ يعبّر به عن كلّ مدّة كثيرة، وهو خلاف الزمان، فإنّ الزّمان يقع على المدّة القليلة والكثيرة.(٢)

﴿نُّطۡفَةٍ﴾: النطفة هي: الماءُ الصافي، ويُعَبَّرُ بها عن ماء الرَّجُل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾ [المؤمنون: ١٣].(٣)

﴿أَمۡشَاجٖ﴾: الأمشاج جمع مشج، وهو الخلط، والمقصود أن ماء الرجل يختلط بماء المرأة.(٤)

﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾: جمع غُلٍّ: وهو طوقٌ تقيَّد به اليد إلى العنق.(٥)

﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾: يجوز أن يكون جمعًا لبار نحو: صاحب وأصحاب، أو لبر نحو رب وأرباب(٦)، والبَرُّ خلاف البحر، وتصوّر منه التوسع فاشتق منه البِرُّ، أي: التوسع في فعل الخير، وينسب ذلك إلى الله تعالى تارة نحو: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]، وإلى العبد تارة، فيقال: بَرَّ العبدُ ربه، أي: توسّع في طاعته، فمن الله تعالى الثواب، ومن العبد الطاعة.(٧)

---

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٢٦٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/١٣٣).

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٣١٩)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٢٩٢).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٨١١).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٣٢٦)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب للأصفهاني ص: (٧٦٩)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٣٦٧).

(٥) الوجيز للواحدي ص: (٥٦٥)، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص: (٦١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٢٨٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/٣٧٧).

(٦) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١/١٧٨).

(٧) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (١١٤).

﴿كَأۡسٗا﴾: الكأس: الإناء بما فيه من الشراب(١)، والمراد به هنا كأس الخمر.(٢)

﴿مِزَاجُهَا﴾: مَزَجَ الشّرابَ: خلطه، والمِزَاجُ: ما يمزج به.(٣)

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴾: الْفَجْرُ: شقّ الشيء شقّا واسعا، والتفجير هو الإنباع، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، وقال: ﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾ [الكهف: ٣٣].(٤)

المطلب الثاني: تفسير الآيات:

قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ (قيل: ﴿هَلۡ﴾ بِمَعْنى: قد، والْأَحْسَن أَن تكون ﴿هَلۡ﴾ على بَابهَا للاستفهام، الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْرِير، وإنما هُوَ تَقْرِير لمن أنكر الْبَعْث؛ فَلَا بُد أَن يَقُول: نعم قد مضى دهر طَوِيل لَا إنسان فِيهِ، فَيُقَال لَهُ: من أحدثه بعد أَن لم يكن، وَكَوّنه بعد عَدمه، كَيفَ يمْتَنع عَلَيْهِ بَعثه وإحياؤه بعد مَوته، وَهُوَ معنى قَوْله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢]، أَي: فَهَلا تذكرُونَ؛ فتعلمون أَن من أنشأ شَيْئا بعد أَن لم يكن على غير مِثَال؛ قَادر على إعادته بعد عَدمه وَمَوته)(٥)، فالاستفهام تقريري، وهو هنا موجه إلى غير معين، وقدم الاستفهام لما فيه من التشويق لمعرفة ما يأتي بعده من الكلام(٦)، و ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ إما آدم عليه السلام، وهو قول قتادة والسدي وعكرمة وابن جرير رحمهم الله، ونسبه ابن الجوزي للجمهور(٧)، وإما جنس الإنسان، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج وأبو حيان وابن كثير والآلوسي وابن عاشور رحمهم الله(٨)، وهو الراجح والله أعلم؛ لأن الحديث موجه لمنكري البعث، ولأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ مبين لمن هو موجه إليه الحديث، وأن المراد غير آدم عليه السلام.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٧٢٩).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٢/ ٢٩٧).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٧٦٦).

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٦٢٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٧/٨).

(٥) مكي بن أبي طالب حَمّوش القيسي، مشكل إعراب القرآن، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، (٧٨١/٢)، وينظر: يحيى بن زياد الفراء، *معاني القرآن*، (مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، بدون سنة النشر)، (٢١٣/٣)، وغريب القرآن لابن قتيبة ص: (٥٠٢).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧١/٢٩).

(٧) جامع البيان للطبري (٥٢٩/٢٣)، والنكت والعيون للماوردي (١٦١/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧٤).

(٨) النكت والعيون للماوردي (١٦٢/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧٤)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٣٥٨/١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٥/٨)، وروح المعاني للآلوسي (١٦٧/١٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٢/٢٩).

وقوله تعالى: ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ إخبار منه تعالى عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحقارته وضعفه(١)، والمعنى: وهل يقر كل إنسان موجود أنه كان معدوما زمانا طويلا، أي لم يكن شيئا يسمى، ولا يتحدث عنه بذاته.(٢)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ بين تعالى أنه خلق الإنسان من تلك النطفة المختلطة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال، ولون إلى لون، وهو قول عكرمة، ومجاهد، والحسن، والربيع بن أنس رحمهم الله.(٣)

وقوله تعالى: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ أي: نختبره، كقوله: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ أي: جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية، فأنشأه الله، وخلق له القوى الباطنة والظاهرة، كالسمع والبصر، وسائر الأعضاء، فأتمها له وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده، ثم أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهداه الطريق الموصلة إليه، وبينها له، ورغبه فيها، وأخبره بما له عند الوصول إليه تعالى، وأخبره بالطريق الموصلة إلى الهلاك، ورهبه منها، وأخبره بما له إذا سلكها، وابتلاه بذلك.(٤)

ووصف الله تعالى الإنسان بقوله: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ بصيغة المبالغة، ولم يقل فجعلناه: سامعا مبصرا؛ لأن سمع الإنسان وبصره أكثر تحصيلا وتمييزا في المسموعات والمبصرات من سمع وبصر الحيوان، فبالسمع يتلقى الشرائع ودعوة الرسل، وبالبصر ينظر في أدلة وجود الله، وبديع صنعه؛ وهذا تخلص إلى ما ميز الله به الإنسان من جعله أهلا للتكليف.(٥)

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ السبيل الطريق، أي: بينا له الطريق ووضحناه وبصرناه به، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٥/٨).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٢/٢٩).

(٣) جامع البيان للطبري (٥٣٢/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣٣٩٠/١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٥/٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠١).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٦/٨)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠٠)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٥/٢٩).

ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١٠]، أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة، وعطية، وابن زيد، ومجاهد في المشهور عنه، واختاره ابن جرير، وهو قول الجمهور.(١)

وروي عن مجاهد، وأبي صالح، والضحاك، والسدي أنهم قالوا في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾، يعني: خروجه من الرحم(٢)، وهو اختيار مكي بن أبي طالب، قال ابن كثير رحمه الله: (وهذا قول غريب، والصحيح المشهور الأول).(٣)

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، منصوبان على الحال من (الهاء) في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾، أي: إنّا خلقنا الإنسان شاكرا أو كفورا، ومعنى ﴿إِمَّا﴾: أو(٤)، ويبين هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ؛ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا".(٥)

(ولما كان الشكر قل من يتصف به قال تعالى: ﴿شَاكِرٗا﴾، ولما كان الكفر كثر من يتصف به ويكثر وقوعه من الإنسان بخلاف الشكر جاء ﴿كَفُورًا﴾ بصيغة المبالغة، ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد)(٦)؛ فابتدئ بجزاء الكافر؛ لأن ذكره أقرب، وأكد الخبر عن الوعيد بحرف التأكيد؛ لإدخال الخوف والفزع(٧)، ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: إنا هيأنا وأرصدنا لمن كفر بالله، وكذب رسله، وتجرأ على المعاصي، ﴿سَلَٰسِلَا۠﴾ في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢]، ﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾ (جمع غُلٍّ وهو طوقٌ تقيَّد به اليد إلى العنق)(٨)، فتغل بها أيديهم إلى أعناقهم ويوثقون بها، عن الحسين رضي الله عنه قال: (إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب، ولكن إذا طغى بهم اللهب أرسبتهم(٩) في النار).(١٠)

---

(١) جامع البيان للطبري (٥٣٧/٢٣)، (٤١٩/٢٤)، والهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٨٠٦١/١٢)، والنكت والعيون للماوردي (١٦٤/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٦/٨).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٨٠٦١/١٢)، والنكت والعيون للماوردي (١٦٤/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٦/٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٦/٨).

(٤) أحمد بن محمد النحاس، *إعراب القرآن*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ)، (٦٢/٥).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، كتاب: الطهارة، بَاب فَضْلِ الْوُضُوءِ، (٢٠٣/١)، رقم: (٢٢٣)، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٦/٨).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٣٦٠/١٠).

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٧/٢٩).

(٨) الوجيز للواحدي ص: (٥٦٥)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٤/٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٧/٢٩).

(٩) الرسوب: ذهاب الشيء سفلا من ثقل. مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٩٥).

﴿وَسَعِيرًا﴾ أي: نارا تستعر بها أجسامهم وتحرق بها أبدانهم ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، وهذا العذاب دائم لهم أبدا، مخلدون فيه سرمدا.(١)

بعد أن ذكر الله تعالى جزاء الكافرين بين جزاء المؤمنين (وأخر تفصيله عن تفصيل جزاء الكفور مع أن ﴿شَاكِرًا﴾، مذكور قبل ﴿كَفُورًا﴾، على طريقة اللف والنشر المعكوس ليتسع المجال لإطناب الكلام على صفة جزاء الشاكرين وما فيه من الخير والكرامة، تقريبا للموصوف من المشاهدة المحسوسة)(٢)؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، والأبرار هم: الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله ومعرفته، والأخلاق الجميلة، فبرت جوارحهم، واستعملوها بأعمال البر(٣)؛ ولذا جاء وصفهم بالبر لأنه أقوى من بار في الاتصاف بالبر؛ ولذلك يقال: الله بر، ولم يقل: الله بار(٤)، وهم ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ المراد بالكأس الخمر قاله ابن عباس رضي الله عنه، وقتادة والضحاك رحمهم الله(٥)، والمعنى: أنهم مزجت لهم الخمر بالكافور.

وفي المراد بالكافور أربعة أقوال:

الأول: أنه الكافور المعروف، قاله مجاهد، ومقاتل، فعلى هذا في المراد بالكافور ثلاثة أقوال: أحدها: برده، قاله الحسن، الثاني: ريحه، قاله قتادة، الثالث: طعمه، قاله السدي.

الثاني: أنه اسم عين في الجنة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء، وابن السائب.

الثالث: أن المعنى: مزاجها كالكافور لطيب ريحه، وأجازه الفراء، والزجاج.(٦)

الرابع: قال مقاتل: ليس هو كافور الدنيا، وإنما سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي له القلوب.(٧)(٨)

---

(١٠) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩/ ١٩٨)، رقم: (٣٦٨٨٨)، وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٦٠٦/٤) وفيه (طغا) بدلا من (طفى).

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/ ٣٧٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠١).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧٩/٢٩).

(٥) جامع البيان للطبري (٢٢/ ٢٩٧).

(٦) معاني القرآن للفراء (٢١٥/٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٥٨/٥).

(٧) مقاتل بن سليمان البلخي، *تفسير مقاتل بن سليمان*، (بيروت، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ)، (٥٢٤/٤).

والمعنى: أن الكافور فيه تبريد، ورائحة طيبة، بالإضافة إلى ما يجدونه من اللذاذة في الجنة(١)، فشرابهم (على برد الكافور، وطعم الزنجبيل، وريح المسك)(٢).

وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٦] المعنى: أن ذلك الكأس اللذيذ الذي يشربون به، لا يخافون نفاده، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان، يفجرها عباد الله تفجيرا، قال مجاهد وقتادة رحمهما الله: (يقودونها حيث شاؤوا)(٣)، وقال الثوري رحمه الله: (يصرفونها حيث شاؤوا)(٤)، فإن شاءوا صرفوها إلى البساتين الزاهرات، أو إلى الرياض الناضرات، أو بين جوانب القصور والمساكن المزخرفات، أو إلى أي: جهة يرونها من الجهات المونقات.(٥)

المطلب الثالث: من هدايات الآيات الكريمة:

١-يؤخذمن قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ بيان نشأة الإنسان وما تدل عليه من إفضال الله وإكرامه لعباده.

٢-حاستا السمع والبصر وجودهما معاً، ضروري للتكليف مع ضممية العقل، وبلوغ الحلم. (٦)

٣-تكليف من بلغ الحلم وكان يعقل ويرى وأصم وأبكم بالكتابة إن كان يعلمها، أو بالإشارة.(٧)

٣-في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ بيان أن الإنسان أمامه طريقان فيسلك أيهما شاء، وكل طريق ينتهي به إلى غاية؛ فطريق الرشد يوصل إلى الجنة، وطريق الغي يوصل إلى النار.

٤-في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ دليل على ثبوت الاختيار للإنسان، وهذا من تكريم الله له.

---

(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٣٧٦/٤)، وينظر: التفسير الكبير للرازي (٧٤٤/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢٥/١٩)، ولباب التأويل للخازن (٣٧٧/٤)، ومحمد بن علي الشوكاني، *فتح القدير*، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ)، (٤١٨/٥).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٧/٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٥٢٤/٤).

(٣) جامع البيان للطبري (٥٤٠/٢٣).

(٤) جامع البيان للطبري (٥٤١/٢٣).

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠١).

(٦) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٤٨٤/٥).

(٧) ينظر: محمد بن سعد الشويعر، *مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن باز*، (الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الثالثة،١٤٢١هـ)، (٤٣٠/٥).

٥- خاطب الله تعالى عباده بأسلوب الترغيب والترهيب، فتارةً يذكر ما أعدّه للكافرين من عقابٍ وعذابٍ، وذلك بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلَا وَسَعِيرًا﴾، وتارةً يذكر صفات الجنة التي أعدّها للأبرار، وذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾؛ لعل الناس يهتدون لطريق الصواب؛ إمّا خوفًا من الله وعقابه، أو استبشارًا وشوقًا لجزاءه وجناته.

٦-من نعيم أهل الجنة شربهم للخمر الذي يلتذ به شاربه لذة عظيمة، (على برد الكافور، وطعم الزنجبيل، وريح المسك)(١)، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويغول العقل.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٥٢٤/٤).

المبحث الثالث: الآيات من الآية (٧) إلى الآية (١١):

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١﴾ [الإنسان: ٧-١١]

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾: النّذر: أن تُوجِب على نفسك ما ليس بواجب، كصدقةٍ، أو فعل عبادةٍ؛ لحدوثِ أمر، يقال: نَذَرْتُ لله أمراً.(١)

﴿مُسۡتَطِيرٗا﴾: فاشيا منتشرا غاية الانتشار، من استطار الحريق والفجر(٢)، وهو أبلغ من طار؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.(٣)

﴿مِسۡكِينٗا﴾: المسكين: من السكون؛ لأن المسكين تسكن حركته، فهو الذي قد أذلته الحاجة، ولا يجد ما يقوم بكفايته.(٤)

﴿وَيَتِيمٗا﴾: اليتم: الانفراد، ومنه: درة يتيمة، لانفرادها عن نظائرها بحسنها، واليتيم شرعا: من فقد أباه قبل البلوغ، ذكرًا كان أو أنثى، فأما بعد البلوغ فلا يتم، واليتم في الناس من قبل الأب، وفي سائر الحيوان من جهة الأم، واليتامى جمع اليتيم واليتيمة.(٥)

﴿وَأَسِيرٗا﴾ الأَسْرُ: الحبس، وأصلُه من الشدِّ بالإسارِ وهو الحديد، ويسمَّى الأَخيذُ أسيرًا ومأسورًا لشدِّه بذلك، ثم أُطلقَ على كل مَن أُخذَ بقوةٍ، وإنْ لم يُشدَّ به، وأُسْرةُ الرجل: مَن يتقوَّى بهم، ويُجمعُ الأسيرُ على أُسارَى وأَسارى؛ ضمًا وفتحًا، وأسرى، والمشهورُ أنه لا فرقَ، وقيل: الأَسرى جمعُ الجمعِ.(٦)

---

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٧٩٧)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١٦٠/٤).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٦/٣)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٥٢٩).

(٣) روح المعاني للآلوسي (١٧١/١٥).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٤٣/٢٣)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٤١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٨/٢)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ٢٠٩).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٤/٦)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب للأصفهاني ص: (٨٨٩)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٣٥١/٤).

(٦) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٧/١)، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص: (٧٦)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٨٩/١).

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ اليوم العبوس، هو الشديد الكريه، ونسب العبوس إلى اليوم لوقوع عبوس الوجوه فيه.(١)

﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شديدا، يقال: قمطرير وقماطير.(٢)

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها:

(لما وصف الله تعالى ثواب الأبرار في الآخرة وصف أعمالهم في الدنيا)(٣)؛ ليقتدي بهم من أراد بلوغ منازلهم.

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

ذكر الله تعالى في هذه الآيات جملة من أعمال الأبرار وصفاتهم، هي: الصفة الأولى: أنهم يوفون بالنذر فقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾، وما نذره الإنسان على نفسه يجب الوفاء به إذا لم يكن معصية؛ فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ".(٤)

قال ابن العربي رحمه الله: (النذر مكروه بالجملة؛ ثبت في الصحيح عن مالك عن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قَالَ اللهُ عز وجل: لَا يَأْتِي النَّذْرُ عَلَى ابْنِ آدَمَ بِشَيْءٍ لَمْ أَكُنْ قَدَّرْتُهُ لَهُ، إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ"(٥)؛ وذلك لفقه صحيح؛ وهو أن

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢١١/٤)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢٥/٣)، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٥٤٤).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٦٨٤)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٣٣٩/٣).

(٣) لباب التأويل للخازن (٣٧٧/٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأيمان والنذور، باب: النذر في الطاعة، (٢٤٦٣/٦)، رقم: (٦٣١٨).

(٥) رواه همام بن منبه الصنعاني، *صحيفة همام بن منبه*، (بيروت، عمان، المكتب الإسلامي، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ص: (٣٨)، رقم: (٣٩) باختلاف يسير، وأحمد بن الحسين البيهقي، *القضاء والقدر*، (الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ص: (٢٠٤)، رقم: (٢٢٠) مختصراً، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٧٩٩/٢)، رقم: (٤٣٣٤).

وأصل الحديث رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الْقَدَرِ، بَابُ: إِلْقَاءِ النَّذْرِ الْعَبْدَ إِلَى الْقَدَرِ، (١٢٥/٨)، رقم: (٦٦٠٩)، بلفظ: "لَا يَأْتِ ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ الْقَدَرُ، وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ، أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ"، ورواه مسلم في صحيحه، كِتَاب: النَّذْرِ، باب: النهي عن النذر، وأنه لا يرد شيئا، (١٢٦٢/٣)، رقم: (١٦٤٠) بلفظ: "إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَرِّبُ مِنَ ابْنِ آدَمَ شَيْئًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ قَدَّرَهُ لَهُ، وَلَكِنْ النَّذْرُ يُوَافِقُ الْقَدَرَ؛ فَيُخْرَجُ بِذَلِكَ مِنَ الْبَخِيلِ مَا لَمْ يَكُنِ الْبَخِيلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ".

الباري سبحانه وعد بالرزق على العمل؛ ومنه مفروض، ومنه مندوب، فإذا عين العبد ليستدر به الرزق، أو يستجلب به الخير، أو يستدفع به الشر لم يصل إليه به، فإن وصل فهو لبخله، والله أعلم).(١)

فالأبرار قد وفوا بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور، وإذا كان هذا حالهم مع النذر الذي ليس بواجب عليهم في الأصل إلا بإيجابهم على أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية، من باب أولى وأحرى.

الصفة الثانية: أنهم يخافون يوم القيامة وما يقع فيه من أهوال عظام؛ فقال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾؛ فخافوا أن ينالهم شر ذلك اليوم، فتركوا كل سبب موجب لذلك، وفيه إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي.

الصفة الثالثة: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ إطعام الطعام محبة لله، وهذا على القول بأن الضمير في قوله: ﴿حُبِّهِۦ﴾ عائدا إلى الله عز وجل؛ لدلالة السياق عليه، والأظهر والله أعلم أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد، ومقاتل(٢)، واختاره ابن جرير وابن كثير رحمهم الله(٣)، ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وفي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: "أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ".(٤)

وقد امتثل الصحابة رضي الله عنهم هذه الآية أيما امتثال؛ ومن ذلك ما رواه (نافع رحمه الله قال: إن ابن عمر رضي الله عنه اشتهى عنبا وهو مريض؛ فاشتريت له عنقودا بدرهم، فجئت به فوضعته في يده، فجاء سائل فقام على الباب فسأل، فقال ابن عمر: ادفعه إليه، قال: قلت: كُل منه، ذُقه، قال: لا، ادفعه إليه، قال: فدفعته إليه، ثم اشتريته منه بدرهم، فجئت به إليه فوضعته في يده، فعاد السائل؛ فقال ابن عمر: ادفعه إليه، قلت: ذُقه، كُل منه، قال: ادفعه إليه، قال: فدفعته إليه، ثم اشتريته منه

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٣٥٣/٤).

(٢) جامع البيان للطبري (٥٤٣/٢٣).

(٣) جامع البيان للطبري (٥٤٣/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٨/٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، بَابٌ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ، وَصَدَقَةُ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ الْآيَةَ [المنافقون: ١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ الْآيَةَ [البقرة: ٢٥٤]، (١١٠/٢)، رقم: (١٤١٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، بَاب: بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ، (٧١٦/٢)، رقم: (١٠٣٢).

بدرهم، فجئت به إليه فوضعته في يده، فعاد السائل، فقال لي: ادفعه إليه، قال: قلت: كُل منه، ذُقه، قال: ادفعه إليه، قال: فدفعته إليه، وقلت: ويحك ما تستحي(١)، في الثالثة أو الرابعة، ولا أعلمه قال إلا في الرابعة، شك يزيد(٢)، قال: فاشتريته منه بدرهم؛ فذهبت فجئت به إليه؛ فأكله)(٣).

و(خُصِّصَ الإطعام بالذكر لما في إطعام المحتاج من إيثاره على النفس كما أفاد قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، والتصريح بلفظ الطعام مع أنه معلوم من فعل ﴿وَيُطۡعِمُونَ﴾ توطئة ليبنى عليه الحال وهو ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ فإنه لو قيل: ويطعمون مسكينا ويتيما وأسيرا؛ لفات ما في قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ من معنى إيثار المحاويج على النفس، على أن ذكر ﴿ٱلطَّعَامَ﴾ بعد ﴿يُطۡعِمُونَ﴾ يفيد تأكيدا مع استحضار هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة).(٤)

وجاءت الأفعال ﴿يُوفُونَ﴾، ﴿يَخَافُونَ﴾، ﴿يُطۡعِمُونَ﴾ على صيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار.

والأبرار يتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم ﴿مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرٗا﴾، وفي المراد بالأسير قال مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير رحمهم الله: إنه المسجون من أهل القبلة، وقال الحسن وقتادة وعكرمة رحمهم الله: إنه الأسير المشرك(٥)، وكلا القولين صحيح والله أعلم؛ لأن اسم الأسير يشتمل على الفريقين، وقد عم الخبر عنهم أنهم يطعمونهم، فالخبر على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له(٦)، وفيه دليل على أن إطعام الأسارى، وإن كانوا من أهل الشرك، حسن يرجى ثوابه.

---

(١) قاله نافع للسائل.

(٢) أحد رواة القصة.

(٣) رواه الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، *الزهد*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص: (١٥٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٦٦/١٢)، وقال الهيثمي: (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ، وَهُوَ ثِقَةٌ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣٤٧/٩).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٨٤/٢٩).

(٥) جامع البيان للطبري (٥٤٤/٢٣)، والتفسير الكبير للرازي (٧٤٨/٣٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٨/٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٨٤/٢٩).

(٦) جامع البيان للطبري (٥٤٥/٢٣).

قال القرطبي رحمه الله: (وقيل: نسخ إطعام المسكين آية الصدقات، وإطعام الأسير آية السيف(١)، قاله سعيد بن جبير، وقال غيره: بل هو ثابت الحكم، وإطعام اليتيم والمسكين على التطوع، وإطعام الأسير لحفظ نفسه إلا أن يتخير فيه الإمام)(٢).

وهذا محمول على صدقة التطوع، فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار.(٣)

ويقصد الأبرار بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي: لا جزاءً ماليا ولا ثناءً قوليا، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه: (قوله: ﴿عَبُوسًا﴾ يقول: ضيقا، وقوله: ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ يقول: طويلا)، وقال ابن زيد رحمه الله: (العبوس: الشر، والقمطرير: الشديد)(٤)، يُقال: يوم قمطرير، ويوم قماطر، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارا، وذلك أشد الأيام وأطوله في البلاء والشدة(٥)، والمعني: ولكنا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد هوله، عظيم أمره، تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه، ويطول بلاء أهله ويشتد(٦)، ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ وهذا من باب التجانس البليغ، والمعنى: آمنهم مما خافوا منه، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أكرمهم وأعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾ في قلوبهم، قاله الحسن البصري، وقتادة، وأبو العالية، والربيع بن أنس رحمهم الله(٧)، وهذه كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩]؛ (وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه)(٨)، فجمع لهم بين نعيم الظاهر والباطن.

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة:

١-وجوب الوفاء بالنذر؛ فمن نذر شيئا لله وجب عليه أن يفي بنذره، إلا أن ينذر معصية؛ فلا يجوز له الوفاء بنذره فيها.

---

(١) يعني قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]. قال ابن كثير رحمه الله: (هذه الآية الكريمة هي آية السيف) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٢/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢٩/١٩)، وينظر: أحكام القرآن لابن الفرس (٦٠٧/٣)، والإتقان للسيوطي (٦٨/٣).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٧٤٨/٣٠).

(٤) جامع البيان للطبري (٥٤٩/٢٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢١٦/٣)، وجامع البيان للطبري (٥٤٧/٢٣).

(٦) جامع البيان للطبري (٥٤٧/٢٣).

(٧) جامع البيان للطبري (٥٥٠/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٩/٨).

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٩/٨).

٢-من صفات الأبرار أنهم يخافون يوم القيامة وما يقع فيه من أهوال عظام؛ قال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾.

٣-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أنه كلما كان الإنفاق مع الحاجة إليه، والمشقة معه، والرغبة فيه، كان أعظم وأفضل وأبر.

٤-إطعام الأسارى، وإن كانوا من أهل الشرك حسن يرجى ثوابه.

٥-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ تقوية قاعدة التعاون على البر والتقوى التي جاءت بها الشريعة وتوطيدها؛ لإيجاد مجتمع متعاون بجميع أصناف التعاون على ما ينفع الأمة.

٦-في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ دليل على أن الأبرار لا يريدون جَزَاءً بِالْفِعْلِ، وَلَا ثَنَاءً بالْقَوْل، فجمعوا بين الإحسان بالفعل والإحسان بالقول.

٧-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ إثبات صفة الوجه لله تعالى بما يليق به سبحانه وتعالى، دون تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل.(١)

٨-أن أعمال البر من أسباب دخول الجنة.

٩-تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صور الجزاء الأخروي(٢)؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

١٠-يوم القيامة شديد هوله، عظيم أمره، تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه، ويطول بلاء أهله ويشتد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

١١-في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ جمع لأهل الجنة بين نعيم الظاهر والباطن.

---

(١) أحمد بن الحسين البيهقي، *الأسماء والصفات*، (جدة، مكتبة السوادي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، (٨١/٢).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٤٨٧/٥).

المبحث الرابع: الآيات من الآية (١٢) إلى الآية (٢٢):

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ١٢-٢٢].

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: المُتَّكَأ: المكان الذي يتكأ عليه(١)، والاتكاء هُوَ: الِاسْتِنَاد على طَرِيق التنعم.(٢)

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمعُ أريكةٍ. والأريكةُ: حجلة على سرير، وتسميتها بذلك إما لكونها في الأرض متخذة من أراك، وهو الشجرة المعروفة، أو لكونها مكانا للإقامة من قولهم: أرك بالمكان أروكا.(٣)

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾: الطَّوْفُ: المشيُ حولَ الشيءِ والدوران عليه.(٤)

﴿أَكْوَابٍ﴾: الأكواب جمع كوب، وهو القدح لا عروة له، ولا خرطوم.(٥)

﴿زَنجَبِيلًا﴾: الزنجبيل: كلمة معربة، قال الثعالبي والجواليقي: هي فارسية، تكلمت بها العرب فأعربتها، وهي شجرة معروفة، والعرب تأكل الزنجبيل وتستطيب رائحته، وذكره شعرائهم؛ فخوطبوا على ما يعرفون.(٦)

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (١٦٧).

(٢) منصور بن محمد السمعاني، *تفسير القرآن*، (الرياض، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، (٣٤٦/٥).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٧٣)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٨٦/١).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٥٣١)، وينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٢/٣).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٥/٥)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٧٢٨)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٤٣٦/٣).

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٦/٥)، وعبد الملك بن محمد الثعالبي، *فقه اللغة وسر العربية*، (بدون مكان نشر، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ص: (٢٠٩)، وموهوب بن أحمد الجواليقي، *المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم*، (مصر، دار الكتب المصرية، بدون رقم طبعة، ١٩٩٥م)، ص: (١٧٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٩/٤)، وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب*، (بدون مكان النشر، مطبعة فضالة، بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، ص: (٩٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٩٥/٢٩).

﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: غليظه، اسمان أعجميان تكلمت بهما العرب فأعربتهما، قال الثعالبي والجواليقي: هما فارسيتان.(١)

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن بين الله تعالى ما أكرم به المؤمنين في الجنة، وأعطاهم إياه من النضرة في وجوههم، والسرور في قلوبهم؛ أطنب في وصف الجنة(٢)؛ تشويقًا لنعيمها ونعيم أهلها.

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على طاعته فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصيه فتركوها، وعلى أقداره المؤلمة فلم يتسخطوها، ﴿جَنَّةً﴾ فجعلهم في أحسن المساكن وهو الجنة، الجامعة لكل نعيم، السالمة من كل مكدر ومنغص، وكساهم أحسن الملابس ﴿وَحَرِيرًا﴾، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، وخصه بالذكر من بين لباس أهل الجنة؛ لأنه لا يلبسه إلا صاحب نعمة، فجمع لهم تعالى بين ما يكسو الباطن، وما يكسو الظاهر، والله أعلم.(٣)

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾، (خص الاتكاء؛ لأنها هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم)(٤)، فهم متمكنون من الجلوس، في حال الرفاهية والطمأنينة والراحة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ على السرر التي عليها اللباس المزين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هي السرر في الحجال) وهو قول: مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة رحمهم الله، وواحدها أريكة(٥)، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ في معنى الآية قولان:

الأول: المراد بالشمس: حر أشعتها، فنفى رؤية الشمس في قوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾؛ فيكون نفي رؤية الشمس كناية عن نفي وجود الشمس، الذي يلزمه انتفاء حر شعاعها، والزمهرير: شِدّة

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص: (٢٦٧)، ومحمد بن أحمد الأزهري، *تهذيب اللغة*، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م)، (١٠٦/١٣)، ومحمد بن عُزير السجستاني، *غريب القرآن*، (سوريا، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ص: (٢٧٦)، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص: (٢٠٨)، والمعرب للجواليقي ص: (١٥)، (١٧٧)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٧٨٧/٢).

(٢) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ص: (١٥٠).

(٣) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (١٤٢/٢١)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٨٨/٢٩).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١٧٢/٧).

(٥) جامع اليان للطبري (٤٦٥/١٩)، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص: (٢٦٧)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٧٣).

البرد(١)، عن مجاهد رحمه الله قال: (الزمهرير: البرد المفظع)(٢)، والمعنى: أن هواء الجنة معتدل لا ألم فيه بحال.

الثاني: قال ثعلب: الزمهرير اسم القمر في لغة طيء(٣)، فـ (إن كان المراد بالشمس الكوكب المعروف؛ فالزمهرير القمر، فلا شمس في الجنة ولا قمر)(٤)، والمعنى على هذا: أنهم (لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا، أي إنهم في ضياء مستديم، لا ليل فيه ولا نهار، لأن ضوء النهار بالشمس، وضوء الليل بالقمر).(٥)

(وكلا المعنيين مراد وواقع، فلا شمس في الجنة ولا قمر؛ لعدم الحاجة إليهما، ولا حر ولا برد كذلك).(٦)

وقوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ أي: ظل الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار، وفي هذا بيان لزيادة نعيمهم وكمال راحتهم؛ فإن الظل في الدنيا للراحة، وإن كان لا شمس ولا قمر في الجنة، كما أن أمشاطهم الذهب والفضة، وإن كان لا وسخ ولا شعث ثَمَّ(٧)، وقيل: ظلال الحجال(٨)، والراجح الأول؛ لأنه قول الجمهور(٩)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: قربت ثمراتها من مريدها تقريبا ينالها، وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع، فمتى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه، كأنه سامع طائع، كما قال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤](١٠)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (يأكلون من

---

(١) كتاب العين للفراهيدي (١٢٤/٤)، وأيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٤٨٦).

(٢) جامع البيان للطبري (٥٥٢/٢٣).

(٣) الكشف والبيان للثعلبي (٢٢١/٢٨).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٤٨٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٨/١٩).

(٦) أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٤٨٦).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٨/١٩).

(٨) تفسير القرآن للسمعاني (١١٨/٦).

(٩) جامع البيان للطبري (٥٥٣/٢٣)، ومحمد بن عبد الله ابن أبي زَمَنِين، *تفسير القرآن العزيز*، (مصر، مكتبة الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، (٧١/٥)، والوجيز للواحدي ص: (١١٥٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٨/١٩)، ولباب التأويل للخازن (٣٧٩/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩١/٨).

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩١/٨).

ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين، وعلي أي حال شاؤوا)(١)، وعن مجاهد رحمه الله قال: (إذا قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت حتى ينالها، فذلك تذليلها)، وقال قتادة رحمه الله: (لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك)(٢)، وكل هذه المعاني صحيحة لأنها من نعيم الجنة.

(ولما وصف تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم، ذكر شرابهم، وقدم ذكر الآنية التي يسقون منها)(٣)، فقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ أي: يدور على أهل الجنة الخدم والولدان(٤)، ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ الاسم فضة، والعين لا تشبه العين، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء)(٥)، ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ﴾ الأكواب جمع كوب، عن مجاهد رحمه الله قال: (ليس لها عرى ولا آذان)(٦)، ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: مادتها من فضة، وهي على صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء، أن تكون الفضة الكثيفة من صفاء جوهرها وطيب معدنها على صفاء القوارير(٧)، فاجتمع لقوارير أهل الجنة بياض الفضة وصفاء القوارير.(٨)

وفي قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ إذا كان الضمير يعود في ﴿قَدَّرُوهَا﴾ للشاربين، فيكون في معنى الآية قولان: الأول: أنهم قدروها في أنفسهم فجاءت على ما قدروها، قاله الحسن، الثاني: على قدر ملء الكف، قاله الضحاك.

وإذا كان الضمير في ﴿قَدَّرُوهَا﴾ يعود للسقاة والخدم ففيه قولان: الأول: على مقدار لا تزيد فتفيض، ولا تنقص فتغيض، قاله مجاهد، الثاني: على قدر ريهم وكفايتهم؛ لأنه ألذ وأشهى، قاله الكلبي.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣٣٩١/١٠).

(٢) جامع البيان للطبري (٥٥٤/٢٣).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٣٦٣/١٠).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٢/٣)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٥٣١)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠١).

(٥) جامع البيان للطبري (٤١٦/١)، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦٦/١)، وأحمد بن عبد الله الأصبهاني، *صفة الجنة*، (دمشق، دار المأمون للتراث، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر)، (١٤٧/١)، وأحمد بن الحسين البيهقي، *البعث والنشور*، (الرياض، مكتبة دار الحجاز، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ)، ص: (٢١٠).

(٦) جامع البيان للطبري (٢٩٦/٢٢)، وينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٥/٥).

(٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠٢).

(٨) عبد الرزاق بن همام الصنعاني، *تفسير عبد الرزاق*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ)، (٣٧٥/٣)، وينظر: عبد الله بن مسلم الدينوري، *تأويل مشكل القرآن*، (بيروت، دار الكتب العلمية، بدون رقم طبعة، بدون سنة النشر)، ص: (٥٥).

وقيل: قدرت لهم وقدروا لها سواء، قاله الشعبي.(١)

﴿وَيُسْقَوْنَ﴾ أي: الأبرار ﴿فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ (وهي كل إناء كان فيه شراب، فإذا كان فارغا من الخمر لم يقل له كأس، وإنما يقال له إناء)(٢)، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي: خلطها ﴿زَنجَبِيلًا﴾، فتارة يمزج للأبرار الشراب بالكافور، وهو بارد، وتارة بالزنجبيل، وهو حار، ليعتدل الأمر(٣)، ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلا، قال عكرمة: (اسم عين في الجنة)، وقال مجاهد: (سميت بذلك؛ لسلاسة سيلها وحدة جريها)، وقال قتادة: (عين سلسة مستقيد ماؤها)، وقيل: إنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق، والراجح والله أعلم أنها تعم جميع ذلك، وهو ما رجحه ابن جرير، وابن كثير رحمهما الله(٤)، فوصفَ تعالى فاكهتَهُم وشرابَهُم جزاء لإطعامِهِمُ الطعامَ.(٥)

ثم ذكر الله تعالى طوافا آخر غير طواف السقاة المذكور آنفا بقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾، وهو طواف لأداء الخدمة فيشمل طواف السقاة وغيرهم(٦)؛ فقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الجنة، في طعامهم وشرابهم وخدمتهم، ﴿وِلْدَٰنٌ﴾ وهم الغلمان، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خلقهم الله في الجنة كما خلق الحور العين، لا يموتون، لا يشيبون، ولا يهرمون)(٧)، وإنما كانوا ولدانا؛ (لأنهم أخف حركة، وأسرع مشيا، ولأن المخدوم لا يتحرج إذا أمرهم أو نهاهم)(٨)، وفي معنى ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: صغار لا يكبرون، وشبابٌ لا يهرمون، فهم مخلدون للبقاء لا يتغيرون، وهم على سن واحد، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك والحسن رحمهم الله، والجمهور(٩)، وهو الذي رجحه ابن جرير رحمه الله(١٠).

---

(١) النكت والعيون للماوردي (١٧٠/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٩/٤).

(٢) جامع البيان للطبري (٥٦٠/٢٣).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩١/٨).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦٤/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩١/٨).

(٥) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، *اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى*، (الكويت، مكتبة دار الأقصى، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م)، ص: (٧٣).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٩٧/٢٩).

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤١/٨) وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٩٧/٢٩)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٣/١٩).

(٩) زاد المسير لابن الجوزي (٢٢٠/٤).

(١٠) جامع البيان للطبري (٢٩٥/٢٢).

الثاني: مُسَوَّرون، قاله أيضا ابن عباس رضي الله عنهما(١).

الثالث: مقرطون، قاله سعيد بن جبير رحمه الله(٢).

وهم في غاية الحسن، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ خطاب لغير معين، أي: إذا رآهم الرائي منتشرين في خدمة أهل الجنة ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ من حسنهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ وهذا من تمام لذة أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخلدون، الذين تسر رؤيتهم، ويدخلون على مساكنهم، آمنين من تبعتهم، ويأتونهم بما يدعون وتطلبه نفوسهم.

وشبهوا باللؤلؤ (لصفاء ألوانهم، وحسن منظرهم)(٣)، و(شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم)(٤)، (واللؤلؤ إذا نثر على بساط كان أحسن منه منظوما).(٥)

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ (فعل ﴿رَأَيْتَ﴾ الأول منزل منزلة اللازم يدل على حصول الرؤية فقط لا تعلقها بمرئي، أي: إذا وجهت نظرك، والتقييد بـــ ﴿إِذَا﴾ أفاد معنى الشرطية؛ فدل على أن رؤية النعيم لا تتخلف عن بصر المبصر هنالك، فأفاد معنى: لا ترى إلا نعيما، أي بخلاف ما يرى في جهات الدنيا)(٦)، والمعنى: إذا رمقت ما أهل الجنة فيه من النعيم الكامل ﴿ثَمَّ﴾ أي: هناك في الجنة، و﴿رَأَيْتَ﴾ (جواب ﴿إِذَا﴾، أي إذا فتحت عينك ترى)(٧)، ﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، (فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة المشجية ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس.

وعنده من الزوجات اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورا، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك وأعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان مالك الملك، الحق المبين، الذي لا

---

(١) النكت والعيون للماوردي (١٧١/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٠/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٢/١٧).

(٣) النكت والعيون للماوردي (١٧١/٦).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٢٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٣/١٩).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٩٨/٢٩).

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٩٨/٢٩).

تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه)(١)، نسأله تعالى من فضله وجوده وإحسانه.

وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟؛ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً"(٢)، (فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بما هو أعلى منزلة، وأحظى عنده تعالى).(٣)

وقوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ والمعنى: أنهم قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس (رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان، وهو مما يلي الظاهر، كما هو المعهود في اللباس)(٤).

قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولا؛ لأنه لا أصدق منه قيلا ولا حديثا، (وهذه صفة الأبرار، وأما المقربون فكما قال: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]).(٥)

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي، ذكر ما طهّر به بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الردية؛ فزين ظاهرهم وباطنهم، فقال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهرا لما في بطونهم من كل أذى وقذى، وأسند سقيه إلى ﴿رَبُّهُمْ﴾ إظهارا لكرامتهم، أي أمر هو بسقيهم كما يقال: أطعمهم رب الدار وسقاهم.(٦)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (٥/٢٤٠٢)، رقم: (٦٢٠٢)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، بَاب: آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا (١/١٧٣)، رقم: (١٨٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٩٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٩٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٩٣).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/٤٠٠).

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الجزاء الجزيل والعطاء الجميل ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ على ما أسلفتموه من الأعمال، ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ كان عملكم مشكورا، حمدكم عليه ربكم، ورضيه لكم، فأثابكم بما أثابكم به من الكرامة عليه، فالقليل منه، يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن حصره(١)، كما قال تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢].

ولما قالوا: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾، قيل لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾؛ فالجزاء من جنس العمل، نسأل الله من فضله.

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة:

١-بيّن الله تعالى أنّ جزاء الجنة وما فيها من نعيم إنما هو لمن كان مؤمنًا صبورًا؛ قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

٢-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أن نور الجنة وهواءها معتدلين.

٣-في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ على أنه ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

٤-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أن خدم أهل الجنة غلمان؛ وذلك لأنهم أخف حركة، وأسرع مشيا، ولأن المخدوم لا يتحرج إذا أمرهم أو نهاهم.

٥-في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ بيان أنه إذا كان حال الغلمان الذين يخدمون أهل الجنّة بهذا الجمال، فكيف بأهل الجنّة أنفسهم.

٦- يؤخذ من قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أن الله تعالى زين ظاهر أهل الجنة بالحرير والحلي، وطهّر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الردية، فجمع لهم نعيم الظاهر والباطن.

٧-تعداد وصف الجنة وأهلها، وما لهم فيها من نعيم؛ حتى تتشوق لها القلوب.

٨-في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ دليل على أن الجزاء من جنس العمل.

٩-من أساليب القرآن الكريم في الحث على الأعمال الصالحة؛ الندب إليها، والثناء على أهلها، وبيان شيء من ثوابها دون الإلزام والإيجاب.

---

(١) جامع البيان للطبري (٥٧١/٢٣)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠٢).

المبحث الخامس: الآيات من الآية (٢٣) إلى آخر السورة الكريمة:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٢٣-٣١]

المطلب الأول: معاني الكلمات الغريبة:

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: البكرة: أول النهار(١)، والأصيل: ما بين العصر للمغرب، يقال: أصيل، وأصل، وآصال، وأصائل.(٢)

﴿أَسْرَهُمْ﴾: خلقهم، وسُمِّي الخَلْقُ أسْرًا؛ لأن بعضه مشدودًا إلى بعض.(٣)

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لما قبلها:

(أنه سبحانه لما ذكر أصناف الوعد والوعيد، بين أن هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة إليه، فليس بسحر ولا كهانة، ولا شعر، وأنه حق).(٤)

المطلب الثالث: تفسير الآيات:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ وفي هذا بيان امتنان الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بما نزله عليه من القرآن العظيم إذ لم ينزله جملة واحدة، وفيه الوعد والوعيد، وبيان كل ما يحتاجه العباد، وفيه الأمر بالقيام بأوامره وشرائعه أتم القيام، والسعي في تنفيذها، والصبر على ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: اصبر لحكمه القدري؛ فلا تسخطه، ولحكمه الديني؛ فامض عليه، ولا يعوقنك عنه عائق، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ من المعاندين، الذين يريدون أن يصدوك ﴿ءَاثِمًا﴾ أي: فاعلا إثما ومعصية، ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ فإن طاعة الكفار والفجار والفساق لا بد أن تكون في المعاصي، فلا يأمرون إلا بما تهواه أنفسهم، وجاء عَنْ قَتَادَةَ رحمه الله في سبب نزول

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (١٤٠)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢١٩/١).

(٢) أحمد بن محمد الهروي، *الغريبين في القرآن والحديث*، (المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، (٧٩/١)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٧٨)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٩٤/١).

(٣) الغريبين في القرآن والحديث للهروي (٧٣/١)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص: (٧٦)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٨٩/١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٨/١٩).

الآية (أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ كَانَ يَقُولُ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾)(١)، وقال مقاتل في سبب نزولها: (﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ءَاثِمًا﴾ يعني: عتبة بن ربيعة، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صنعت ما صنعت من أجل النساء، فقد علمت قريش أن بناتي من أجملها بنات، فأنا أزوجك ابنتي، وأسوقها إليك بغير مهر، فارجع عن هذا الأمر، ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ يعني: الوليد بن المغيرة، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن كنت صنعت ما صنعت من أجل المال، فقد علمت قريش أني من أكثرهم مالا، فأنا أعطيك من المال حتى ترضى، فارجع عن هذا الأمر؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا﴾ يعني: عتبة ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ يعني: ولا كفورا، وهو الوليد بن المغيرة).(٢)

وفي معنى ﴿أَوْ﴾ من قوله تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ثلاثة أقوال:

القول الأول: قال الفراء رحمه الله: (﴿أَوْ﴾ ههنا بمنزلة (لا)، و (أو) في الجحد والاستفهام والجزاء تكون في معنى (لا) فهذا من ذَلِكَ).(٣)

القول الثاني: قال الزجاج رحمه الله: (﴿أَوْ﴾ ههنا أوكد من الواو؛ لأن الواو إذَا قُلتَ: لا تطع زيداً وعَمراً، فأطاع أحدهما كان غير عاص، لأنه أمره ألا يطيع الاثنين، فإذا قالَ ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، ﴿أَوْ﴾ قد دلت على أنَّ كل واحد منهما أهل لأن يعصى).(٤)

الثالث: قال ابن الجوزي رحمه الله: (﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، كقوله: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦]).(٥)

والقول الثاني هو الراجح، ويكون (النهي عن طاعتهما مفردين أو مجتمعين، وإنما ذكرت ﴿أَوْ﴾ لئلا يتوهم أن النهي عن طاعة من اجتمع فيه الوصفان) والله أعلم.(٦)

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٣٧٨/٣)، وينظر: جامع البيان للطبري (٦١/٢١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٥٨/٢٨)، وأحمد بن علي بن حجر، *العجاب في بيان الأسباب*، (بدون مكان النشر، دار ابن الجوزي، بدون رقم طبعة، بدون سنة النشر)، (٤٨٩/٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٨/٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي (٢٥٨/٢٨)، وينظر: النكت والعيون للماوردي (١٧٢/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨١/٤).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢١٩/٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٦٣/٥).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٣٨١/٤).

(٦) محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (مصر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، (٤/ ٢١٢).

(وفي النهي مع العصمة إرشاد لغير المعصوم إلى التضرع إلى الله تعالى والرغبة إليه سبحانه في الحفظ عن الوقوع فيما لا ينبغي).(١)

(ولما كان الصبر يستمد بالقيام بعبادة الله، والإكثار من ذكره؛ أمر الله بذلك فقال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ أي: أكثر له من السجود، ولا يكون ذلك إلا بالإكثار من الصلاة، ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾)(٢)، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: المكذبين لك أيها الرسول بعدما بينت لهم الآيات، ورُغِبوا ورُهِبوا، ومع ذلك لم يفد فيهم ذلك شيئا، بل لا يزالون ﴿يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ ويطمئنون إليها، ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يتركون العمل ويهملون ﴿وَرَآءَهُمۡ﴾ أي: أمامهم(٣) ﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ وهو يوم القيامة، فكأنهم ما خلقوا إلا للدنيا والإقامة فيها، وقوله: ﴿ثَقِيلٗا﴾ تنكيره ليدل على شدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن فجاء في الحديث الثابت أنه يخفف عليه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَوْم الْقِيَامَة على الْمُؤمنِينَ كَقدْر مَا بَين الظّهْر وَالْعصر"(٤)، وقيل: ﴿ثَقِيلٗا﴾: للقضاء فيه بين العباد.(٥)

(ثم استدل عليهم وعلى بعثهم بدليل عقلي، وهو دليل الابتداء، فقال: ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ﴾ أي: أوجدناهم من العدم)(٦)، ﴿وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة رحمهما الله: شددنا خلقهم(٧)،ومعنى الآية: أحكمنا خلقتهم بالأعصاب، والعروق، والأوتار، والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تم الجسم واستكمل، وتمكن من كل ما يريده، والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم

---

(١) روح المعاني للآلوسي (١٥/١٨٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠٣).

(٣) محمد بن القاسم الأنباري، *الأضداد*، (بيروت، المكتبة العصرية، بدون رقم طبعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ص: (٦٨).

(٤) رواه شيرويه بن شهردار الديلميّ، *الفردوس بمأثور الخطاب*، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، (٥/٥٣١)، رقم: (٨٩٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢/١٣٦١)، رقم: (٣٢٦٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/١٥١).

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: (٩٠٣).

(٧) جامع البيان للطبري (٢٣/٥٧٥).

حين قابلوها بالمعصية، أي: سوينا خلقك وأحكمناه بالقوى ثم أنت تكفر بي، ويحتمل: (تخويفاً لهم من سلب النعم)(١)؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ قال ابن زيد وابن جرير رحمهما الله: (وإذا نحن شئنا أهلكنا هؤلاء وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم أمثالهم من الخلق، مخالفين لهم في العمل)(٢)، (كقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]، وكقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠]، [فاطر: ١٦، ١٧])(٣)، وقيل: لغيرنا محاسنهم إلى أسمج الصور وأقبحها، وهذا تهديد(٤)، وقيل: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة.(٥)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ﴾ أي: هذه الآيات السابقة من السورة يتذكر بها المؤمن، فينتفع بما فيها من الترغيب والترهيب ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: طريقا موصلا إليه، فالله يبين الحق والهدى، ثم يخير الناس بين الاهتداء بها أو النفور عنها، إقامة للحجة ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ﴾ [الأنفال: ٤٢]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فإن مشيئة الله نافذة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فله الحكمة في هداية المهتدي، وإضلال الضال.

قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ فيختصه بعنايته، ويوفقه لأسباب السعادة ويهديه لطرقها، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين اختاروا الشقاء على الهدى ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بظلمهم وعدوانهم.

المطلب الرابع: من هدايات الآيات الكريمة:

١-في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ تشريف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بإنزال القرآن الكريم عليه.(٦)

٢-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيما نسبوه إليه من كهانة وسحر، فذكر الله تعالى أن ذلك وحي منه تعالى.(٧)

---

(١) النكت والعيون للماوردي (١٧٣/٦).

(٢) جامع البيان للطبري (٥٧٧/٢٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٤/٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٢/١٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٤٤٠/٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٤/٨).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٣٦٩/١٠).

(٧) التفسير الكبير للرازي (٧٥٨/٣٠).

٣-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ تحريم طاعة أصحاب الإثم وأهل الكفر في حال الاختيار.(١)

٤-في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ إرشاد للمؤمن في أن يستعين بالصلاة والذكر والدعاء؛ فإنها نعم العون.

٥-في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ فضيلة قيام الليل.

٦-في قوله تعالى: ﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ وصف وبيان لعظمة يوم القيامة وشدة أهواله.

٧-في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ وصف للقرآن الكريم بأنه تذكرة.

٨-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أن مشيئة الله عز وجل فوق كل مشيئة.

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٥/٤٩٠).

المبحث السادس: البلاغة:

تضمنت السورة الكريمة ضروبًا، وأنواعًا من الفصاحة والبيان والبديع، منها:

١-وصف المفرد بالجمع في قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾؛ فإنه وصف النطفة مع كونه مفردًا بالجمع، وهو ﴿أَمْشَاجٍ﴾؛ لأن المراد بها مجموع الماءين: ماء الرجل وماء المرأة.(١)

٢-التعبير بصيغة المبالغة في قوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾؛ إشارة إلى كمال إحسانه إليه، وتمام إنعامه عليه.(٢)

٣-التعبير بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾، وبصيغة المبالغة في قوله: ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾؛ حيث لم يقل: إما شاكرًا وإما كافرًا، أو لم يقل: إما شكورًا وإما كفورًا؛ للدلالة على قلة من يتصف بالشكر، وكثرة من يتصف بالكفر، ولرعاية الفاصلة.(٣)

٤-اللفُّ والنشر المعكوس في قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠﴾ إلخ، حيث قدّم أوّلًا ذكر الشاكر ثم الكفور في قوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، ثم عاد بالذكر على الثاني دون الأول؛ ليتسع المجال لإطناب الكلام على صفة جزاء الشاكرين، وما فيه من الخير والكرامة، تقريبا للموصوف من المشاهدة المحسوسة.(٤)

٥- تقديم الظرف على متعلقه في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ للاهتمام به؛ لما في صلاة الليل من مزيد كلفةٍ وإخلاص.(٥)

٦-المقابلة اللطيفة في قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾؛ حيث قابل بين المحبة والترك، وبين العاجلة والباقية.(٦)

تم تفسير سورة الإنسان ولله الحمد والمنة.

---

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩/٧٠).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان للهرري (٣٠/٥٢٣).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١٠/٣٦٠)، وتفسير حدائق الروح والريحان للهرري (٣٠/٥٢٣).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/٣٧٩).

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان للهرري (٣٠/٥٢٤).

(٦) تفسير حدائق الروح والريحان للهرري (٣٠/٥٢٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي وفق وأعان على إتمام هذا الكتاب الذي كان هدفه الأساسي إعانة القارئ الكريم على تفسير سورتي السجدة والإنسان وإبراز أهم الهدايات واللطائف منهما.

جاء الكتاب في مقدمة وفصلين؛ الفصل الأول ذكر فيه تفسير سورة السجدة، والفصل الثاني ذكر فيه تفسير سورة الإنسان.

وأوجز هنا أهم ما تم التوصل إليه من نتائج وتوصيات.

أولا: النتائج:

١-أهمية دراسة التفسير التحليلي؛ إذ من خلاله يبين معاني الغريب، وتذكر المناسبات وأسباب النزول، ويتم ذكر القراءات وتوجيهها، وتذكر الأوجه البلاغية، وما يتعلق بالآيات من إعراب، وبلاغة، وتستخرج الهدايات، ويوفق بين الآيات ويدفع عنها الاشكال.

٢-عظم أهوال يوم القيامة، هولا لا يلاقي العباد مثله، ويدلُّ على عظم هوله وشدته أن الله تعالى بينه وذكره في كتابه الكريم، وذكر مواقفه، وانقسام الناس فيه إلى شقي وسعيد، وبين جزاءهم، وجاء في سورتي السجدة والانسان بيان شيء من ذلك.

٣-بيان ما لسورتي السجدة والانسان من فضل ومزية؛ حيث من السُنّة قراتهما في صلاة فجر يوم الجمعة.

٤-قد يكون للسورة عدة أسماء تميزها عن غيرها.

٥-ذكرت الدراسة ما لسورتي السجدة والانسان خصائص وأغراضا ومقاصد سامية.

٦-بينت الدراسة أن الحروف المقطعة في أوائل السور أرجح الأقوال في معناها أنها سر الله تعالى في القرآن؛ فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ويجب أن لا يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها، ونقرئها كما جاءت القراءة بها، وهذا قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم، وقال به الشعبي والثوري والربيع بن خثيم رحمهم الله، وقدمه ابن كثير رحمه الله في تفسيره، والله أعلم.

٧-أوضحت الدراسة أن الحكمة من ذكر هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، ورجح هذا القول وصححه ابن كثير رحمه الله؛ مستدلا بالاستقراء للمصحف الشريف، والله أعلم.

٨-تقرير النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزيل من الله تعالى ووحيه أوحاه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

٩-إثبات استواء الله على عرشه، وهو علوه واستقراره عليه، بدون تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.(١)

١٠-تكذيب النظرية الكاذبة، التي تقول: إن الخلق نشأ بالتطور، وأن أصل الإنسان قرد، ثم صار على طول الزمن إنسانا، وهي نظرية باطلة وكفر بالله سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ فلا أصدق من هذه الآية شيء.(٢)

١١-أن الذي يتولى قبض الأرواح ملك الموت؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾، وله أعوان من الملائكة.

١٢-إثبات الرجوع إلى الله؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، ويؤخذ منه إثبات الجزاء؛ لأنه هذا هو المقصود من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

١٣-بشرى المؤمنين الصادقين بما تقر به العين في الجنة من المأكول والملبوس والمنكوح والمسكن ما لا يخطر على البال؛ لأن كل هذه الأربعة تقر بها العين(٣)؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

١٤- أن الإيمان لا يتم إلا بالعمل الصالح؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ فلا يكفي مجرد العقيدة، بل لا بد من عمل صالح.

١٥-أن التوراة كالقرآن هدى؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ لكنها مخصوص ببني إسرائيل وهو: ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ لذا ينبغي لنا أن لا نطلب الهدى منها بعد بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ فالهدى في القرآن.(٤)

١٦-أطول سورة بين فيها حسن جزاء المؤمنين في الآخرة هي سورة الإنسان.

١٧-في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ دليل على ثبوت الاختيار للإنسان، وهذا من تكريم الله له.

١٨-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ تقوية قاعدة التعاون على البر والتقوى التي جاءت بها الشريعة وتوطيدها؛ لإيجاد مجتمع متعاون بجميع أصناف التعاون على ما ينفع الأمة.

---

(١) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٣٢).

(٢) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٤٨).

(٣) تفسير العثيمين: السجدة ص: (٩٠).

(٤) تفسير العثيمين: السجدة ص: (١١١).

١٩-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورٗا﴾ إثبات صفة الوجه لله تعالى بما يليق به سبحانه وتعالى، دون تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل.(١)

٢٠- تعداد وصف الجنة وأهلها، وما لهم فيها من نعيم؛ حتى تتشوق لها القلوب.

٢١-من أساليب القرآن الكريم في الحث على الأعمال الصالحة؛ الندب إليها، والثناء على أهلها، وبيان شيء من ثوابها دون الإلزام والإيجاب.

٢٢-يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن مشيئة الله عز وجل فوق كل مشيئة.

٢٣-تضمنت سورتي السجدة والإنسان الكريمة ضروبًا وأنواعًا من الفصاحة والبيان والبديع.

ثانيا: التوصيات:

١-الاعتناء بالدراسات والبحوث العلمية للآيات القرآنية عموما؛ لاستخراج واستنباط الحكم والأحكام الكثيرة، والآثار العلميَّة والاجتماعيَّة والخلقيَّة بما يتوافق مع تغير أحوال الناس واختلاف حاجتهم.

٢- الاعتناء بالسور التي يتكرر قراتها في المناسبات الشرعية كالجمع والأعياد والاستسقاء، وايضاح معانيها وايصال هداياتها للناس عموما.

٣- أن تتبنى أقسام التفسير في الجامعات منهجا تطبيقيا يمكن الطالب من استخراج هدايات القرآن الكريم العقائدية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها في جميع شؤون الحياة على مستوى الفرد والمجتمع.

والله أسأل أن يقيض مَن يقوم بتحقيق هذه التوصيات، والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أحمد بن الحسين البيهقي، *الأسماء والصفات*، (جدة، مكتبة السوادي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، (٨١/٢).

فهرس المصادر والمراجع(١)

١- القرآن الكريم.

٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطيّ الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ)، وضع حواشيه: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٣- الإتقان في علوم القرآن: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤- أحكام القرآن: عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس الأندلسي (٥٩٧ هـ)، تحقيق د. طه بن علي بو سريح، د. منجية بنت الهادي النفري السوايحي، صلاح الدين بو عفيف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٥- أحكام القرآن: محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٦- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: جسم الفهيد الدوسري، مكتبة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

٧- إرْشَادُ السَّالِك إلىَ أَشرَفِ المَسَالِكِ فِي فقهِ الإمَامِ مَالِك: عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، (٧٣٢هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثالثة، بدون سنة النشر.

٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة النشر.

٩- الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي(٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(١) رتب هذا الفهرس حسب الترتيب الهجائي للمؤلفات.

١٠- الأضداد: محمد بن القاسم بن محمد الأنباري (٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
١٢- إعراب القرآن وبيانه: لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (١٤٠٣ هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.
١٣- إعراب القرآن: أحمد بن محمد النحاس (٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير): جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٦- بحر العلوم: نصر بن محمد أبو الليث السمرقندي (٣٧٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣م.
١٧- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، بدون رقم الطبعة، ١٤٢٠هـ.
١٨- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
١٩- البعث والنشور: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (٤٥٨ هـ)، حققه وضبطه وعلق عليه: أبو عاصم الشوامي الأثري، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
٢٠- البيان في عدّ آي القرآن: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢١- تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم طبعة، بدون سنة النشر.
٢٢- التبيان في إعراب القرآن: عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون رقم طبعة، بدون سنة النشر.
٢٣- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون رقم الطبعة، ١٩٨٤هـ.
٢٤- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: عبد الله بن يوسف الزيلعي (٧٦٢هـ)، اعتنى به: سلطان بن فهد الطبيشي، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٢٥- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ)، تحقيق: اد. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٦- تفسير القرآن العزيز: محمد بن عبد الله بن عيسى المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ)، تحقيق: حسين بن عكاشة، محمد الكنز، مكتبة الفاروق الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٧- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
٢٨- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٩- تفسير القرآن العظيم: علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي (٦٤٣هـ)، تحقيق وتعليق: د. موسى علي موسى مسعود، د. أشرف محمد بن عبد الله القصاص، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٠- تفسير القرآن الكريم (سورة السجدة): محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
٣١- تفسير القرآن: منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٢- التفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسن الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٣٣- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
٣٤- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبد الله الهرري (١٤٤١هـ)، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٥- تفسير عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني (٢١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٣٦- تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٣٧- تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة القيرواني (٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣٨- تناسُق الدرر في تَناسُب السوَر: جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٢ هـ — ٢٠٠٢م.
٣٩- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٤٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٤٢- الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، والمعروف بسنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:

أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة)، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٤- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٤٥- حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، بدون دار النشر، بدون مكان النشر، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.

٤٦- الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.

٤٧- حسن المدد في معرفة فن العدد: لإبراهيم بن عمر الجعبري (٧٣٢هـ)، تحقيق: جمال الدين بن السيد بن رفاعي الشايب، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، بدون رقم الطبعة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤٨- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.

٤٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (٤٥٨ هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٥٠- الرد على الجهمية والزنادقة: أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، بدون بلد النشر، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.

٥١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين: محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ)، تحقيق: قسم التحقيق والتصحيح في المكتب الإسلامي بدمشق، بإشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٣- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٥٤- زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.
٥٥- الزهد: أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٦- السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
٥٧- السنن: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود (٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٥٨- السنن: محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ومحمَّد كامل قره بللي، وعَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٥٩- صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني (١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.
٦٠- صحيفة همام بن منبه: همام بن منبه اليماني الصنعاني (١٣١هـ)، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦١- صفة الجنة: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، تحقيق: علي رضا عبد الله، دار المأمون للتراث، دمشق، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.
٦٢- العجاب في بيان الأسباب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، بدون مكان النشر، بدون رقم طبعة، بدون سنة النشر.
٦٣- العرش: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٦٥- عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.
٦٦- غريب القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٦٧- غريب القرآن: محمد بن عُزير السجستاني العُزيري (٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٦٨- الغريبين في القرآن والحديث: أحمد بن محمد الهروي (٤٠١هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٦٩- فتحُ البيان في مقاصد القرآن: محمد صديق خان بن حسن بن علي البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٧٠- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٧١- الفردوس بمأثور الخطاب: شيرويه بن شهردار الديلميّ الهمذاني (٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٢- فضائل القرآن: القاسم بن سلاّم أبو عُبيد البغدادي (٢٢٤ هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.
٧٣- فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٧٤- القضاء والقدر: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٧٥- كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.

٧٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (٥٣٨ هـ)، وبهامشه: الكافي الشافِ في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلانِي (٨٥٢هـ)، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٧٨- لباب التأويل في معاني التنزيل: علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن (٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٧٩- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على ابن منظور (٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٨٠- المبسوط: محمد بن أحمد السرخسي (٤٨٣هـ)، مطبعة السعادة، مصر، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.

٨١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٨٢- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن باز: جمعها الدكتور محمد بن سعد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الثالثة،١٤٢١هـ.

٨٣- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٨٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨٥- مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسي (٢٠٤ هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨٦- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٨٧- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بدون رقم الطبعة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٨٨- المسند: للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨٩- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب حَمّوش القيسي القيرواني (٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٩٠- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ (المَقْصِدُ الأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى): إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٩١- المصنف: أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة (٢٣٥ هـ)، تحقيق: سعد بن ناصر الشثري، تقديم: ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٩٢- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩٣- معاني القرآن: يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، بدون سنة النشر.

٩٤- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون سنة النشر.

٩٥- معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ: بكر بن عبد الله أبو زيد (١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٩٦- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، موهوب بن أحمد الجواليقي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٩٥م.

٩٧- المغني: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، د عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٩٨- مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٩٩- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٠٠- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.
١٠١- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة فضالة، بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، بدون بلد النشر، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.
١٠٢- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٠٣- الناسخ والمنسوخ: أحمد بن محمد النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٠٤- الناسخ والمنسوخ: هبة الله بن سلامة البغدادي (٤١٠ هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
١٠٥- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٠٦- النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، بدون مكان نشر، بدون رقم طبع، بدون سنة نشر.

١٠٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.
١٠٨- النكت والعيون: علي بن محمد الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.
١٠٩- هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب: علي بن محمد السخاوي (٦٤٣هـ)، حققه وشرحه: عبد القادر الخطيب الحسني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دار الفكر، بيروت، بدون رقم الطبعة، بدون سنة النشر.
١١٠- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القيرواني (٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١١١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
الفصل الأول: تفسير سورة السجدة.	٧
المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة.	٧
المطلب الأول: أسماء سورة السجدة.	٧
المطلب الثاني: ما ورد في فضل سورة السجدة.	٩
المطلب الثالث: هل سورة السجدة مكية أم مدنية؟	٩
المطلب الرابع: خصائص السورة.	١٠
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.	١١
المطلب السادس: موضوعات السورة.	١١
المبحث الثاني: الآيات من الآية (١) إلى الآية (٣).	١٣
المبحث الثالث: الآيات من الآية (٤) إلى الآية (٦).	١٨
المبحث الرابع: الآيات من الآية (٧) إلى الآية (١١).	٢٤
المبحث الخامس: الآيات من الآية (١٢) إلى الآية (١٤).	٣٠
المبحث السادس: الآيات من الآية (١٥) إلى الآية (٢٢).	٣٣
المبحث السابع: الآيات من الآية (٢٣) إلى الآية (٢٥).	٤٠
المبحث الثامن: الآيات من الآية (٢٦) إلى آخر السورة الكريمة.	٤٦
المبحث التاسع: البلاغة.	٥١
الفصل الثاني: تفسير سورة الإنسان.	٥٢
المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة.	٥٢
المطلب الأول: أسماء سورة الإنسان.	٥٢
المطلب الثاني: ما ورد في فضل سورة الإنسان.	٥٢
المطلب الثالث: هل سورة الإنسان مكيّة أم مدنيّة؟	٥٣
المطلب الرابع: خصائص السورة.	٥٥
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.	٥٥
المطلب السادس: موضوعات السورة.	٥٦
المبحث الثاني: الآيات من الآية (١) إلى الآية (٦).	٥٧

المبحث الثالث: الآيات من الآية (٧) إلى الآية (١١).	٦٤
المبحث الرابع: الآيات من الآية (١٢) إلى الآية (٢٢).	٧٠
المبحث الخامس: الآيات من الآية (٢٣) إلى آخر السورة الكريمة.	٧٩
المبحث السادس: البلاغة.	٨٤
الخاتمة.	٨٥
فهرس المصادر والمراجع.	٨٨
فهرس الموضوعات	٩٩